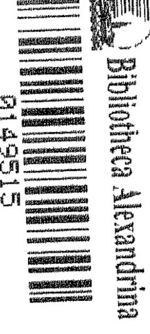
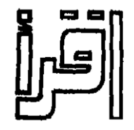
اقرأ

شفيق عبد اللطيف









[٥٢٦]



شفيق عبد اللطيف

السينما الإسرائيلية



دار المعارف



مقدمة

خطت الصهيونية العنصرية خطوات واسعة لتضليل الرأى العام العالمى والعربى والإسرائيلى.. إذ عمدت إلى التغلغل داخل العقول لتشكيلها وفق وجهة النظر اليهودية العنصرية المتسلطة.

كذلك المخططات الصهيونية المصنوعة وفق المنهج الإعلامى الذى صاغته فى صناعة السينما، سواء على المستوى الصهيونى العالمى أو المستوى الإسرائيلى.. فالسينما الإسرائيلية تحركها اليد الصهيونية المتسلطة. ذلك لأن وضع اليهود فى العالم مهتز لأنعدام الأرض المحددة جغرافيًا، والتى تؤصل كيانهم المستقل فى أرض الميعاد. فقد قامت الصهيونية فى بداية القرن العشرين بإنتاج أفلام تسجيلية تجسد الوهم من خلال مخطط صهيونى مدروس يهدف إلى جمع شتات اليهود من « الديا سبورا » المبددة لشملهم فى أنحاء الأرض. ذلك لأن عقدة ضياع الذات اليهودية بين الشعوب تقلق الصهيونية وتدفعها إلى التحرك داخل قطاعات الرأى العام العالمى.

ومن الملاحظ أن رأس المال اليهودى فى الولايات المتحده يسيطر

على وسائل الإعلام والاتصال منذ القرن التاسع عشر، وتزايد خطره خلال القرن العشرين. وكان لابد لرأس المال اليهودى المتسلط أن يستخدم الصورة المرئية والكلمة المسموعة، فى التغلغل داخل أفهام الرأى العام. وكان الاعتماد على الصحافة والأفلام السينمائية التى تستحوذ على عقول الجماهير بقطاعاتها العريضة..

من هنا بدت السينما الصهيونية ناقوسًا ذا فاعلية مؤثرة. وفعلا حققت صناعة السينما اليهودية أهدافها فى محورين أساسيين :

الأول : يتمثل فى اجتذاب الأموال من جمهور المشاهدين، سواء فى الولايات المتحدة أو خارجها.

والثانى : يتحقق فى إحلال قضية اليهود فى عقلية المشاهد، لفرض وجهة نظر صهيونية حول وضع اليهود فى العالم، والتركيز على أرض الميعاد فى فلسطين، التى شهدت هجرات يهودية إليها عبر السنين. هذا وقد بدت السينما اليهودية تتخذ مسارات عديدة للوصول إلى أهدافها العنصرية، منها تغليب العنصر اليهودى على كل الأجناس الإنسانية، مع التقليل من شأن العرب ووصفهم بما يحط من قدرهم بوسائل التضليل غير العاقلة... فالسينما اليهودية - سواء فى الولايات المتحدة أو فى إسرائيل - سينما مصنوعة لهدف لا إنسانى، لأن التركيز فيها يتمثل فى هدم الحقائق العلمية والتاريخية للعرب. وقد قامت إسرائيل بإنتاج العديد من الأفلام التى تمجد الشخصية

اليهودية وتبرز الدور البطولى لليهود وفق مخطط يغاير الحقائق التاريخية المتعارف عليها. . لذلك نجد السينما الإسرائيلية تندفع نحو الملاحة فى البحار الصعبة مما أفقد صناعة السينما فى إسرائيل أهدافها كفن له قواعده

ومن المعلوم أن شركات السينما فى إسرائيل تنسق نشاطها مع الشركات اليهودية فى الولايات المتحدة من حيث استقدام رأس المال الصهيونى والخبرة الفنية والإعلامية إلى جانب استغلال لنجوم السينما العالميين للعمل فى أفلام تخدم المخطط الإسرائيلى البعيد عن الفن كفن للحياة. . من هنا سقطت السينما الإسرائيلية فى وهدة العدمية الفنية.

وعلى ضوء هذا الكتاب الذى نقدمه للقارئ العربى والعالمى يتبين لنا وجهة السينما الصهيونية على وجه العموم، وكيف اتخذت مسارات غير واعية بقضايا اليهود، سواء فى إسرائيل أو خارجها، وقد استخدمت لغة النقد لهذه الصناعة التى يجب أن توضع تحت مجهر الاختبار والنقد الموضوعى، وعسى أن نكون قد وفقنا، والله على ما نقول وكيل.

المؤلف



البداية.. فى السينما الإسرائيلية

كان من الممكن ألاّ تكون هناك سينما إسرائيلية بالمعنى المفهوم، ويكتفى بالسينما الصهيونية التى تمولها يد يهودية وتتبع شركات يهودية، لكن المؤسسة العسكرية فى إسرائيل أرادت أن تكون هناك سينما إسرائيلية تحمل الطابع الإسرائيلى البحت، وتنبع من مناخ إسرائيلى، لكن برأسمال ومساندة يهودية.

وفعلا اتجهت إسرائيل إلى إنتاج كثير من الأفلام منذ قيامها فى ١٥ مايو عام ١٩٤٨، إذ عمدت إلى إنتاج أفلام قصيرة تسجيلية، وكلها تعمق معنى الأرض فى عقول اليهود.. وأخذت فكرة أرض الميعاد تعالج من عدة زوايا تسجيلية كحلم تحقق ويمكن توسيعه عن طريق الحرب واكتساب أراض بالعدوان المسلح.

كان أول الأفلام الإسرائيلية هو فيلم «التل ٢٤ لا يرد»، الذى أنتج عام ١٩٥٤، وتجرى أحداثه عام ٤٨ قبل وبعد قيام إسرائيل مباشرة.. إذ تبدأ أحداثه الأساسية عند بداية انسحاب القوات البريطانية يوم ١٤ مايو ٤٨ وبدء الصراع العربى اليهودى فى المنطقة..

وقد أبرز الفيلم معنى البطولة المفتعلة لدى العصابات اليهودية المقاتلة للعرب الفلسطينيين فى أراضيهم. وعلى الجانب الآخر أظهر الفيلم مدى التفكك العربى.. مُظْهِرًا عدم وجود الترابط بين العرب بعضهم ببعض.

ولقد قام بإخراج هذا الفيلم الإسرائيلى الأول المخرج الإنجليزى ديكنسون الذى ولد فى لندن عام ١٩٠٣.. أما قصة ذلك الفيلم فهى مقتبسة أساسًا من القصة العالمية المشهورة «جريمة فى ميدان ثورنتون» لباتريك هاملتون، ولقد بدت بعض التغييرات والتعديلات فى هذه القصة إلى الحد الذى جعلها توافق مناخ فلسطين وتطويعها لملاءمتها للصراع العربى الإسرائيلى فى المنطقة على أن الناقد الفرنسى «روجيه بوسينو» قد أظهر مواطن الضعف فى هذا الفيلم الهابط كمؤشر لسقوط السينما الإسرائيلية منذ الوهلة الأولى من بدايتها. ذكر ذلك الناقد الفرنسى فى «دائرة معارف السينما الفرنسية» التى يشرف على إعدادها، ويرى فيها أن الفيلم قد صور بطريقة عشوائية كفاح اليهود من أجل الأرض، وهو تحرك مفتعل إلى حد كبير، وخلص ديكنسون إلى أن هذا الفيلم «سقطة فنية».

وهناك فيلم آخر فى إطار بدايات السينما الإسرائيلية هو فيلم «صلاح»، ويرمز إلى اليهود العرب فى شخص «صلاح»، ذلك اليهودى اليمنى الساذج الذى بدا كسولاً لا يهمه شىء، حتى بدا عليه

الفقر فى إسرائيل، وبيته قذر مثل بيت أى يهودى عربى كما تصوره الدعاية الإسرائيلية. ويصطدم «صلاح» بمجتمع راق من اليهود الغربيين لم يتفاعل معهم، بل إنه على حد تعبير الفيلم يرفض التطور والإندماج مع الأجناس اليهوديه الراقية.. لقد صور الفيلم «صلاح» شخصًا يعمل فى أحط الحِرف، وهى صناعة الأحذية.. وهو يتلمس كل السبل للحصول على شقة يسكن فيها لكن بدون جدوى.. ويظل ذلك اليهودى العربى التائه يبحث عن معنى الحياة وسط مجتمع يرفضه تمامًا ويلفظه.

وإلى جانب ذلك فى قائمة الأفلام الإسرائيلية فيلم «توفيا وبناته السبع»، وهو يهودى تشغله بناته السبع، إنه يريد أن يزوجهن ويتخلص منهن. لكنه لا يجد الفرصة لكى يوفر لهن حياة معقولة، فهو رجل فقير، وفرصة الحياة أمامه غير ملائمة لوضع أفضل وحياة ميسرة.. وفى شكل كوميدى هابط تدور أحداث ذلك الفيلم، لكنه يحمل بين نبرات حواره قضية هامة، وهى ضياع الإنسان فى إسرائيل، وتتمثل أساسًا فى عدم وجود الفرص للحياة.. وهذه هى السمة الغالبة فى طابع السينما الإسرائيلية فى مراحل بداياتها.

على أن هناك فيلمًا آخر هو «غيوم فوق إسرائيل»، وتدور أحداثه إبَّان عدوان ١٩٥٦، وفيه تبرز مدى قدرة الجندى الإسرائيلى المحارب من وجهة نظر يهودية صهيونية مفتعلة إلى حد كبير. تدور

أحداث الفيلم فى سيناء، بعد عدوان ١٩٥٦، وهو العدوان الثلاثى، ولقد انتهزت السينما الإسرائيلية تلك الحرب فنفذت من بين أحداثها إلى العالم بذلك الفيلم العسكرى الذى يمجد الجيش الإسرائيلى.. فأحداث القصة ترمز إلى طيار إسرائيلى سقط بطائرته «المستير» المعطلة بعد حدوث خلل بها. ووجد سيدة عربية تعيش فى مخيم فيشعرها بأنه يمكنه قتلها لكنه لم يرد ذلك، لأنه لا ينوى الشر أصلا.. لكنها تقدم له الماء والطعام.. فيشعر بأنها إنسانة طيبة، ويمكن فى هذا إيجاد نوع من المعايشة مع العرب يرتضيه اليهود. هكذا يقول الفيلم.. إنه يرمز إلى إمكانية الحياة معًا على هذه الأرض.. العرب واليهود معًا.. وهى دعاية خبيثة لجأت إليها الصهيونية عن طريق السينما.

هذا كله إلى جانب بعض أفلام تسجيلية لاهدف لها سوى إظهار وجه إسرائيل المتحضر للرأى العام العالمى.. كذلك هناك أفلام تسجيلية عن القدس وتاريخها، وكلها أفلام من وجهة النظر الصهيونية مغالطة للنصوص التاريخية والآثار العلمية المتعارف عليها.

إن السينما الإسرائيلية فى بداية عهدها ظلت تقلد الأفلام الأمريكية من الوجهة الفنية فقط، وبشكل مفتعل يفقد العنصر المتكامل للسينما كفن.. على أن السينما الإسرائيلية لم يكن لديها وجوه جديدة بالمعنى المفهوم.. فالنجوم الإسرائيليون معدومون تمامًا مع بداية السينما الإسرائيلية.. وكلها تعتمد على النجوم الأمريكيين والفرنسيين والبريطانيين، وحتى هذه الأيام، فإنها تجذب تلك الوجوه لإنعاش

ذلك الفن المتأرجح، والذى أثرت فيه دواعى عدم الاستقرار التى فرضت على إسرائيل منذ قيامها بسبب حالة الحرب المستمرة.

إن قضية السينما الإسرائيلية منذ بدايتها تتركز فى الإنسان اليهودى القلق الذى دمرت ذاته ضربات النازية المستمرة.. وها هو ذا يلاقى العذاب فى أرض العرب.. كلها قضايا تتلاقى فى إطار الضياع الأبدى للشخصية الإسرائيلية، وهو ضياع يتجسد بشكل خطير يومًا بعد يوم.

شعب الله المختار

عقب إقامة إسرائيل سارعت «هوليوود» بإنتاج العديد من الأفلام التى تتحدث عن قضية التمايز لدى اليهود.. وكل هذه الأفلام تشير إلى القضية علناً ومن طرف خفي.. فمثلا فيلم «شمشون ودليلة» الذى أخرجه سيسيل ديميل بطولة «فيكتور ماتيور» و «هيدى لامار» إنتاج ١٩٤٩ يشير إلى سيادة الجنس اليهودى من زاوية ضيقة، لكنها فعالة.. وفيلم «داود وباتشيبع» بطولة «جريجورى بيك وسوزان هوارد» إنتاج ١٩٥١، و «خطايا إيزابيل» إنتاج ٥٣، و «سليمان وملكة سبأ» الذى أخرجه كينج فيدور، و «إستر والملك» لمخرجه راؤول ولسن إنتاج ١٩٦٠، و «سادوم وعامورة» لروبرت الدريس إنتاج ١٩٦١، وكلها ترمز إلى تحقيق الذات اليهودية.

أما فيلم «التوراة فى البداية» لجون هوستون الذى أنتج عام ١٩٦٦ فإنه يتحدث عن التعاليم اليهودية، وهو الفيلم الذى يمهد بواسطة الأساطير إلى قيام إسرائيل، وهو يؤكد فى مغالطة دينية أن إسماعيل عليه السلام هو أبو العرب.. وأنه من العبيد أصلا، لأن

أمه «هاجر» من جنس العبيد، أما إسحق فهو أبو اليهود من نسل السادة، وأن أمه «سارة» كانت أميرة فى الأصل، كما أن أرض إسرائيل تمتد من النيل للفرات كما أشار إبراهيم عليه السلام.

وفى هذا الإطار المغالط سارت السينما اليهودية فى مجرى المغالطات.. وفى فيلم «فتاة مرحة» تجاهر بربارا ستريساند بيهوديتها وتفاخر بذلك.

وهناك فى فيلم «عازف الكمان على السطح»، ويتلخص فى أنه يعيش تيفى مع زوجته وبناته الخمس فى قرية روسية وكأنهم فى سجن أبدى يريدون الخروج منه إلى الحياة الأوسع.. كذلك فيلم «حائط أورشليم»، إنتاج ١٩٦٩، وفيه لقطات غير منسقة فنيًا، مثل لقطة لموشى ديان وهو يبكى عند حائط المبكى داعيًا لإسرائيل.. وهناك فيلم «تحيا أورشليم» للناقد الفرنسى «هنرى شابيبه»، وتدور أحداثه فى القدس.. أيضًا الفرنسى الصهيونى «جوزيف كيسيل» قدم العديد من الأفلام التى تتحدث عن شعب الله المختار، وعن أمله فى القدس وعودتها إلى حلبة الحياة اليهودية بعد صراع مرير.. على أن فيلم «خذ اثنين» وبطله مخرج إسرائيلى يقاوم رغبات فتاة أمريكية، ويتجلى الحب لديه على أنه إنسان مرهف مرغوب فيه، لكن فى النهاية يلتقيان فى مطار اللد فى إسرائيل.

واضح معنى السقوط فى هذه الأفلام الهابطة والتى ترتكز فى

النهاية على حلم مفتعل.. إنه حلم شعب الله المختار.. فهل سيظل ذلك الحلم يشغل السينما الصهيونية بعد حرب أكتوبر ٧٣ أم أن هناك نزعة أخرى فى صناعة السينما الصهيونية؟

عقدة الأرض اليهودية..

ظلت عقدة الأرض - أرض الميعاد - تساور أحلام اليهود على مر العصور.. وتجسدت بسبب ما تقوم به أبواق الدعاية الصهيونية من صراخ وعويل يتجه نحو الأرض الموعودة.. ولم تغفل الصهيونية وسيلة السينما الصهيونية كسلاح من أسلحة معاركها الدعائية.. فقبل قيام إسرائيل فى عام ٤٨ والدعاية للدولة المزعومة لم تكف عن الإلحاح لإقامة دولة تجمع اليهود من دياسبوراتهم المبعثرة فى عالم يشعرون فيه بالغربة والضياع الأبدى.

وحين استقرت أحلامهم على أرض الميعاد فى ١٥ مايو عام ٤٨ سارعوا إلى استخدام السينما لتثبيت هذا النزوح إلى أرض فلسطين.. وجعله عملا مشروعًا لاجدال فيه.. حتى إن فيلم - التل ٢٤ لا يرد - جاء أول عمل سينمائى إسرائيلى عام ١٩٥٤ ليشيد بدور اليهود النضالى من أجل إقامة دولتهم بالعرق والجهد والنار.

وعلى النطاق العالمى برز إلى عالم السينما فيلم «الوصايا العشر» الذى أغمط حق العرب وطعن السامية بأسلوب خفى.. فضلا عن

الاستعدادات الفنية الضخمة التى جهزت بها الصهيونية هذا الفيلم ليحمل قضايا اليهود إلى أكبر قطاعات الرأى العام العالمى.. وبذل فيه المخرج العالمى «سيسيل دى ميل» جهدًا كبيرًا لكنه من الوجهة التاريخية مرفوض فكرة وموضوعًا.. لأنه يغاير الواقع التاريخى المتعارف عليه.

وعلى النسق المخالط للواقع التاريخى نصطدم بفيلم «البداية» الذى أخرجه «جون هستون»، وهو فيلم من جملة الأفلام التى مهدت عن طريق استغلال «الميثولوچيا الصهيونية»، للتوسع الإسرائيلى على حساب الفلسطينيين ذلك لأن هذا الفيلم يتوقف فى كثير من أجزائه عند «سيدنا إبراهيم» عليه السلام ليؤكد فى ذهن المشاهد - بالتصريح تارة وبالتلميح تارة أخرى - أن إسماعيل عليه السلام بن إبراهيم من نسل العبيد لأنه من أم مصرية هى «هاجر» وأن إسحق ابن إبراهيم من نسل السادة لأنه من أم «يهودية» يجرى فى عروقها دم مختار متميز هو دم «سارة».. ولتأكيد ذلك ننقل بعض الحوار الذى دار فى الفيلم بين إسماعيل وبعض القوم لنتبين ما تهدف إليه الصهيونية من خلاله.

- «لماذا تسخرون منى ؟»

- ألا تعرف يا إسماعيل أنك ابن أمة.. إنك أشبه بالمخلوقات التى تعمل فى الطحين مع البهائم.. أنت تحمل وزر أمك..

- كيف.. لأن أبى...

- الأبناء يشربون الحصرم دائمًا.. لو كنت ابنًا لسارة يا إسماعيل لاختلف الأمر عليك.. أنت لم تكن من سلالة الدم الأزرق.

....

ويبكى إسماعيل.. ويركع ساجدًا - على أرض لا يعرف منتهاها.. ثم يصيح فى الوجود:

- يا إلهى.. لماذا لم تخلقنى من ظهر سارة.. كيف تركتنى هكذا.. ماذا جنيت؟!

.. وبهذه الكلمات غير العاقلة بدأ فيلم «البداية» الذى أخرجه جون هستون ليخاطب المفكرين فى العالم.. وبدت شركة «فوكس للقرن العشرين» مزهوة به..

أما فيلم «الخروج» فإن الحديث يطول عنه لما جاء به من متناقضات غوغائية غير مسئولة..

قصة الفيلم كتبها الروائى المعروف «ليسون أوريس» وهو يهودى متعصب.. والقصة من جزءين يستمر عرضها ٢٥٠ دقيقة.. وهو أشبه فى انسياقه بفيلم «ميلاد أمة» الأمريكى، الذى يشير إلى الوجود الأمريكى فى القارة.

وفيلم الخروج.. أخرجه «أوتو برمنجر» بطولة «بول نيومان»

وسيناريو «والتون ترامبو» وهو من أعظم كُتّاب السيناريو فى تل أبيب من قبل.

وموضوع الفيلم ينساب فى خطين متوازيين..

الأول: يرمز إلى محاولة دخول «سفينة الخروج» فلسطين وعليها اليهود القادمون من ألمانيا، وهم الناجون من معسكرات الاعتقال النازية.. ويصطدمون بمقاومة القوات البريطانية لهم فى أرض فلسطين.. وبدت المقاومة اليهودية على أشدها، حيث أفسح لها السيناريو مجالاً تجاهل فيه الواقع الزمنى وأسلوب المقاومة اليهودية لأكثر من القوات البريطانية التى تمتاز بالعدة والتدريب القتالى.. لكن الجزء الأول من هذا الفيلم «اختلق» عامل التفوق لدى اليهود.

أما الجزء الثانى من القصة فإنه يتحدث بأسلوب غير واع عن ميلاد إسرائيل فى أرض فلسطين.. وظهور العرب ضعفاء إلى حد السلبية الميتة.. هذا إلى جانب إغفال عنصر الفكر والتفوق العربى، إلى الحد الذى جعل من هذا الفيلم أضحوكة العصر لما بدت فيه من مغالطات للثقافة العربية وأصولها، وكأن كاتب القصة وواضع السيناريو لم يسمعا بوجود عنصر عربى سابق على اليهود فى هذه الأرض.

وما يؤخذ على هذا الفيلم غير الواعى ما ورد فيه من سباب وشتائم للعرب بلا مبرر.. ومحاولة طمس الحضارة العربية وتجاهلها.. وفى هذا الإطار نحصر قضية الفيلم فى هذا الحوار المجنون:

قال جوس : بالنسبة للأتراك يمكنك أن تشترى رضاهم.. أما بالنسبة للعرب فيجب أن نتعلم كيف نعيش معهم بسلام.. «دفع ياكوف قبضته ولوح بها فى الفضاء» وقال : شيء واحد يفهمه العرب ويعوه.. إنهم يفهمون هكذا!! الضرب.. القوة..

وفى مغالطة أخرى يقول جوس : طرد آرى من حوله جماعة من الصبية العرب إلا أن أحدهم ظل يلاحقه.

- أتريد حلاً فيجيب : لا.

- تذكارات؟ لدى خشب من الصليب.. ومزق من الثوب.

- أعرف.

- أتريد صورًا عارية؟

وحاول آرى أن يجتاز الصبى إلا أن الأخير تمسك بساقه قائلاً :

- ربما تعجبك أختى.. إنها عذراء.

«رمى آرى للطفل قطعة النقود وقال له : احرس السيارة.. بحياتك لو ضاعت.

وفى مشهد آخر يقول : وماذا يحدث لو ذهب طه إلى جوردانا وقال لها إنه يحبها، سوف تبصق فى وجهه حتمًا..

لم يكن بوسع أية يهودية أن تعيش مع أرنولد الإنجليزى.. ولم

يكن الأمر ميسرًا فى وجود فتاة إنجليزية.. وهكذا لم يبق إلا امرأة عربية.

وينقلنا الفيلم إلى نقطة أخرى.. فنرى «كمال» الشاب العربى - يتعاطف معه الكاتب «ليسون أوريس» والسيناريست «دالتون ترامبو» والمخرج «أوتوبرمنجر» - يتمتع بميزة غريبة.. فهو يعتقد أن اليهود هم «المخلص»، وأنهم الذين أتوا بالخير إلى هذا العالم فى الألف سنة الأخيرة.

- ألم يكن ألبرت أينشتين يهوديًا ؟!

- ألم يكن سيجموند فرويد وبردياثيف وبيكاسو وشاجال واهرنبورج يهودًا.

- أكثر من نصف العالم من العباقرة فى الألف سنة الأخيرة من اليهود.. ألا يشير ذلك إلى أننا شعب الله المختار.

أما طه.. ذلك الشاب العربى الذى أبرزه الفيلم فيشرح المضمون دروه الحقيق كشخصية عربية ترمز إلى كل العرب..

قال آرى : رجاء مساعدتى.

فأجاب طه : إننى عربى.

- لكنك إنسان تعرف الفرق بين الخير والشر.

- لا.. أنا عربى قذر يجب أن تفهم هذا.

- إذا كنت أنا أخاك فيجب أن تعطنى «جردانا» نعم هذا صحيح. . أعطنى إياها ودعنى أجذبها إلى فراشى. . إنها ستحمل منى أولادى. .

. . وانطلقت قبضة «آرى» لتسحق فك طه الذى خر ساقطاً فوق ركبتيه.

وفى الجزء الثانى من الخروج نرى الأطفال يعيشون بلا هدف. . وإذا هاجم اليهود العرب فإنهم يضعون السكاكين بين أسنانهم، وإذا حاربوا فإن ضباطهم يجبرونهم على ذلك. . أما زعماء العرب فهم جواسيس خونة. . أو عاطلون يتقاضون الإعانات. . والهبات ينفقونها فى الليالى الحمراء بدون هدف، فهم يعيشون لا على مجهودهم بل على مجهود الآخرين.

ولقد شجعت الصهيونية هذا الفيلم لكى يصل إلى أكبر قطاعات الرأى العام العالمى، ذلك لأنه يحمل قضية اليهود الذين بنوا وعمروا فى أرض فلسطين، ولم يعجبهم العرب الكسالى الذين لم يلقوا بالاً بالأرض وقدسيتها.

وعلى كلٍّ فإن عقدة الأرض قد جسدها اليهود فى صناعة السينما فى إطار من العنصرية الساقطة أمام الحقائق العلمية التاريخية التى تجسد الحق العربى فى كيان الإنسانية جمعاء.

على أن الفيلم الذى أنفقت عليه الصهيونية الأموال «لماذا

إسرائيل؟» يجسد نظرة الصهيونية إلى أرض فلسطين بالذات وتطلعاتها إليها.

هناك العديد من الأفلام الصهيونية الإسرائيلية محورها الصراع العربى الإسرائيلى من وجهة نظر صهيونية عنصرية.. وشخصية اليهودى فيها تتسم بالبطولة النادرة.. أما العربى فيبدو سلبى الإرادة، مغلفًا بالطابع الكوميدى المهزوز.

وتعتمد صناعة السينما اليهودية فى هذا الإطار على الشخصيات الكوميدية الفرنسية، مثل «لويس دى فينيس» فى «مغامرات يعقوب» ولا مانع هناك من استغلال السمة العربية لشخصية «حميدو» فى فيلم «الحقيبة»، أما إذا كان الفيلم يحمل طابعًا مأساويًا مثل «القطار» فإن أدوار البطولة فيه تتركز على شخصيات معروفة مثل «جان لوى ترانتينيان» و«رومى شنايدر».

أما فيلم «لماذا إسرائيل» فإنه يبدأ بهذه العبارة. «قد تختلف معى فى الرأى، لكن هذا الفيلم سوف يوضح لك ما قد يكون خافيًا عليك».

.. ويقدم الفيلم للفرنسيين صورًا مطابقة للمواصفات التى حفرتها الدعاية الصهيونية، وهى صورة إسرائيل ووضعها فى أرض العرب كواحة خضراء فى أرض قفر.. هكذا يتجاهلون الحقائق الواضحة للعيان.

لكن مخرجه «كلود لانـزمان» أراد أن يضـفى على هـذه الصـورة الشديدة المثالية شيئًا من الواقعية ليقربه إلى عقلية المشـاهد، فعـرض بعض مظاهر العنف السائدة فى المجتمع الإسرائيلى.. فإسرائيل - مثل أى بلد من بلدان العالم - بها سجون كثيرة.. وتـواجه مشـاكل.. وعلى رأسها مشاكل العرب ووجودهم المتميز بـالطابع العـربى الـذى لا يمكن إزالته.. إنه طابع مرتبط بـالأرض.. ولقـد اختـار المخـرج القالب التسجيلى فى هذا الفيلم الذى يبرز الحقائق من خلال اللقاءات المتعددة مع كبار الشخصيات المفتعلة. وفى النهاية يكشف الفيـلم عـن حقيقة قيام إسرائيل فى هذه المنطقة العربية بـالذات، وتجسيد عقـدة الأرض التى تقلق كيان اليهود دائمًا وإلى الأبد.

وفى فيلم «الحقيبة» الذى أخرجه «چورچ لـونر»، يسـتعرض هنـا المخاطر التى يتعرض لها عميل إسرائيلى لجـأ إلى السـفارة الفـرنسية فى ليبيا هربًا من مطاردته، وتخلصًا من هذا الموقف الحرج يتم تهريبـه إلى الخارج فى حقيبة كبيرة.

وبرغم أن الموضـوع مستهلك فـإن اختيـار الشـخصيات أدى إلى جعله فى مصاف الأفلام المتداولة والبراقة التى تجذب انتباه المشاهد.

على أن فيلم «مغامرات ربى يعقـوب» الـذى أخـرجه «جـيرار أورى» قد حقق اتجاهًا فى صناعة السـينما الفـرنسية نـظرًا لـطابعه الكوميدى الساخر.

فنى الفيلم يخرج «لويس دى فينيس» كل ما فى جعبته.. فالرابى يعقوب يتقمص شخصية أخرى هربًا من مطارديه.. وتتكرر الشخصيات الكوميدية فى إطار صهيونى دعائى.. وينتهى الفيلم بالنظرة إلى الأرض الموعودة ويقودنا الحديث عن عقدة الأرض فى نفوس اليهود إلى فيلم «سبأ» الذى أنتجته الصهيونية ليجسد مفهوم الأرض.. أرض الميعاد فى عقول الرأى العام العالمى.. ويتحدث الفيلم عن «بلقيس ملكة سبأ».. وقد قامت بدور «بلقيس» فى الفيلم .چينا لولو بريچيدا» وبدور «سليمان» «بول براينر».

ويبدو فى هذا الفيلم أن القوات المصرية قد هاجمت اليهود فاستعد اليهود بقيادة سليمان للقائهم. ورأى سليمان فى منامه أن يحفر الأرض على شكل خندق ويجعل الشمس فى ظهور القوات المصرية المحاربة، فإذا هى هاجمت قوات اليهود أخرج اليهود أسلحتهم التى طلوها فصارت لامعة كالفضة لتعكس أضواءها فى عيون المصريين، فيتساقط الواحد تلو الآخر بعرباتهم وأسلحتهم فى الخندق.. وكانت الهزيمة بسبب انعكاس الشمس على عيون المصريين.. واستولى اليهود على الأرض.. وتطلعوا إلى أرض الميعاد.. التى هى الهدف..

وفى استطلاعات متأنية لمجلة «كراسات السينما» الفرنسية منذ ديسمبر عام ١٩٦٣ حتى يومنا هذا تستوقفنا بعض الملاحظات عن تركيز السينما الصهيونية على عقدة الأرض.

فمنذ عام ١٩١٣ وبداية السينما الصامتة والدعاية الصهيونية تستغل هذا الفن فى الدعاية للأرض الموعودة.. وفى هذه الفترة البدائية التى بدأت فيها السينما الأمريكية تحبو فى المهد والسيطرة الصهيونية توجه هذا الفن فى إطار عدوانى. فقد بدت «جلوريا سودنسون» نجمة السينما الصامتة العالمية المشهورة تخدم الأغراض اليهودية بعيدة المدى وفق مخطط يهودى مدروس. كذلك «هربرت روتشيليد» و«أودلف زوكود» ثم «سيسيل ب. ديميل» الممول.. المخرج لعديد من الأفلام الصهيونية.

ولنا هنا وقفة عند «سيسيل ب. ديميل» الذى أخرج سبعين فيلمًا بدأت صامتة بفيلم «زوجة الهندى» عام ١٩١٣، وانتهت ناطقة بـ«الوصايا العشر» عام ١٩٥٦.. فلقد استباح ديميل الأديان وقصص الكتاب المقدس فأظهر النبى «موسى عليه السلام» مرتين صامتًا فى عام ١٩١٣ وناطقًا عام ١٩٥٦.. كذلك السيد المسيح فى «ملك الملوك» عام ١٩٢٧، وشمشون ودليلة عام ١٩٤٩، واستحدث الكثير لتحريف التاريخ المقدس لحياة موسى وعيسى.. عليهما السلام.. ولا يزال رجال السينما من الصهيونيين يتطاولون على هاتين الشخصيتين المقدستين إلى يومنا هذا.

ومن العجيب أن استغلت الصهيونية شخصية «دريفوس» اليهودى الفرنسى الذى حوكم ظلمًا خلال عام ١٨٩٩ أى بعد ثلاثة

يام من وضع ثيودور هرتزل مؤسس الصهيونية لكتابه المعروف « الدولة اليهودية ».. وقبل ثلاثة أعوام من وضعه كتابه « الأرض المقدسة الجديدة ».

ومن العجيب أيضًا أن فيلم « دريفوس » قد نبه قادة الحركة الصهيونية ودعاتها إلى أهمية جهاز السينما فى الدعاية وفعاليته فى هذا المجال. ذلك لأن المخرج الفرنسى « جورج ميلييس » قد صنع من هذا الفيلم أعجوبة العصر، على أن أول ما ظهر من أفلام عقدة الصهيونية تجاه الأرض هو فيلم « حياة اليهود فى أرض الميعاد » الذى أخرجه يعقوب بن دوف » وهو يهودى روسى عاش فترة فى فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى وأخرج هذا الفيلم خلال عام ١٩١٢، وهى الفترة الحاسمة فى حياة اليهود، إذ سقطت الثورة الروسية عام ١٩٠٥، وبدأت موجة الخروج اليهودى إلى أرض الشمس، وهى الموجة التى عرفت باسم « الموجة الثانية ».

بعد ذلك بحثت السينما الصهيونية فى الكتاب المقدس والتاريخ اليهودى تغير وتبدل ما تشاء لتقدمه للرأى العام عن قضية اليهود.. وتجسد الأمر فى « الوصايا العشر » الذى تناول قصة النبى موسى وبنى إسرائيل فى أثناء وجودهم فى أرض مصر وخروجهم منها، على أن شعب مصر فى زعمهم شعب منبوذ مستعبد لفرعون وقومه.. وبرغم أن الفيلم حمل مغالطات فاضحة مثل شخصية « نفرتيتى »، والتى يقول

التاريخ إنها عاشت فى عصر غير عصر موسى عليه السلام، فإن الفيلم يغالط ويختلق شخصية ما بهذا الاسم.. كذلك فى فيلم «ملك الملوك» الذى يتحدث عن حياة السيد المسيح، فقد ألقى مسئولية موت «المخلص» على «كافياس» بدلاً من يهوذا الإسخربوطى اليهودى مراعاة لشعور اليهود.. وتبرئة لهم من دم السيد المسيح..

أخطاء تاريخية ودينية وقع فيها المخرج العالمى «سيسيل ب. ديميل» دون أن ينبهه أحد.. لذا بدت المغالطات فى النص بدون وعى أو إدراك لعقلية المشاهد.. لكننا نقول هذه هى صناعة السينما اليهودية.. إنها صناعة غير واعية بعقل المشاهد وثقافته، وقد تغافل مخططو الصهيونية التطور التكنولوجى المعاصر والحديث. فسارت السينما الإسرائيلية تجوب متاهات البحار الصعبة بحثاً عن تبرير يحقق لهم مآربهم فى الحياة. لكن الرؤية غير الواضحة أمام تجار السينما فى إسرائيل تجعلهم يعيشون فى دوامة القلق الممل.. لكن الى متى؟

الصهيونية... ومنطق السينما العنصرية

لقد ركزت الصهيونية على صناعة السينما باعتبارها أداة إعلام فعال تتغلغل داخل أفهام الرأى العام العالمى.. فالسينما آلة فن إعلام فعال.. ولا عجب أن الصهيونية قد تنبهت إلى ذلك الجهاز منذ بدايته كفن صامت لإبراز قضية اليهود فى هذا العالم.. كقضية جديرة بالإهتمام.

والملاحظ أن «كراسات السينما الفرنسية» التى تصدر تباعًا وخاصة عدد ديسمبر عام ١٩٦٣، قد أوردت اتجاهات السينما الأمريكية ومدى تأثير الصهيونية على تلك الصناعة.

فمنذ بداية السينما الصامتة عام ١٩١٣، ظهرت شخصيات الرواد وفى عيونهم صورة اليهودى الضائع، فى هذا العالم.

ظهرت «جلوديا سوانسون» و «هربرت روتشيلد»، ثم «أودلف زوكور»، وأخيرا «سيسيل دى ميل»، الذى قدم «الوصايا العشر» صامتة وناطقة.. والذى استباح الكتاب المقدس فى إبراز شخصيات أفلامه واستنطاقهم بالعبارات العنصرية الصارخة.. مستهينًا بشخصية

«موسى عليه السلام»، وبشخصية «المسيح عيسى عليه السلام»، «فموسى» ظهر كمنقذ ومخلص.. وعند نقطة الخلاف وهى عدم طاعة بنى إسرائيل له، وخيانتهم للأنبياء، وظلمهم فى الأرض وقفت السينما تمامًا.. كذلك فى شخص السيد المسيح فى «ملك الملوك»، الذى أنتج عام ١٩٢٧ وشمشون ودليلة عام ٤٩.

استحدثت السينما الصهيونية تحريف التاريخ من أجل كسب قضية عنصرية زائغة وظلت السينما الصهيونية فى أمريكا تضرب على هذا الوتر الحساس.. فمنذ ظهور فيلم «جواد لوب» الصامت إلى «بابى رواس» الناطق، والسينما اليهودية تحاول طمس الواقع التاريخى.. ففى الفيلم الأخير يصورون البحر الأحمر بأنه بحر الأساطير، وهو ينشق أمام موسى وبنى إسرائيل وهم يخرجون من مصر.. ثم وهو يخدع فرعون مصر بأنه لا ولن يفشى السر الإلهى لأحد، وهو السر الذى يدور حول تلك الحيل التى خرج بها بنو إسرائيل.. وهو مغالط لما تعارف عليه الباحثون فى التاريخ القديم.

على أن السينما الصهيونية أخذت تدور حول خرافة «أرض الميعاد» وهي النزعة العنصرية التى تقلق اليهود وتعيش بين جلودهم إلى يومنا هذا.

وانطلاقًا من كتاب «الدولة اليهودية»، و «الأرض الجديدة القديمة» لتيودور هرتزل، خطت صناعة السينما اليهودية خطوات سريعة

فى حبكة دعائية إلى المضمون والهدف العنصرى.

والملاحظ من الدراسات الواعية المترصدة لمفهوم السينما الصهيونية أن فيلم «حياة اليهود فى أرض الميعاد» ليعقوب بن دوف اليهودى الصهيونى الروسى الأصل، هو أول عمل يجسد الحقيقة المرة لدى اليهود.. لقد أخرج هذا الفيلم عام ١٩١٢ فى الفترة التى اشتد فيها ساعد الصهيونية بهزيمة الثورة الروسية عام ١٩٠٥، وتطلع فيها اليهود بتأثير الصهيونية إلى الخروج من روسيا إلى أرض الميعاد وهذا الخروج أطلقوا عليه «الهجرة الثانية» والذى استمدوا منه مادة قصص أفلامهم.

كذلك فإن عودة اليهود من الشتات إلى جبل صهيون فى «أورشليم» القدس أمر استفادت منه السينما الصهيونية إلى حد كبير.

ومن الواضح أن هناك مغالطات تاريخية دينية فى مسلك السينما الصهيونية بالنسبة لتناولها القضايا التاريخية المعروفة.

فالتوراة قد صورت خروج موسى وقومه من مصر إلى أرض اللبن والعسل، على أنهم قوم هاربين لا استقرار لهم.. وأن موسى عليه السلام قال لهم على لسان القرآن الكريم: «ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم» ولم يقل تملكوا أو استقروا.. لكن اليهود تناسوا ذلك التفسير البين، وطوعوا ذلك الهروب إلى الإقامة الدائمة، ونفخوا فى أبواق الدعاية السينمائية، داعين بنى جلدتهم من الشتات

الأبدى.. إلى أرض الميعاد.. الموروثة.. من هنا وقع اختيار «أودلف زكور» صاحب «شركة برامونت» على قصة موسى النبى، لإنتاجها تحت اسم «الوصايا العشر» مرتين الأولى صامتة عام ١٩٢٣ فى زمن قل فيه إقبال بنى إسرائيل على الهجرة إلى أرض ميعادهم ومرة أخرى ناطقة بالألوان ١٩٥٦، وبعد قيام إسرائيل فى وقت لم تنشط فيه هجرة اليهود إلى إسرائيل..

ففى منطوق هذين الفيلمين تبدو المغالطة التاريخية فى أن النقاد اعترضوا على استعمال اسم «الأميرة نفرتيرى» أو نفرتيتى» فى الوصايا العشر برغم أن التاريخ يشير إلى أن هذه الأميرة قد عاشت فى عصر غير عصر موسى.. لكن إزاء هذا النقد الصارخ الواعى انطلق أحد معلق اليهود ليقول بأن هناك أميرتين بهذين الاسمين يفصل بينهما قرون من عمر مصر القديمة.. لكن الأميرة العاشقة «آن باكستر» لموسى «شالتون هستون»، فى هذا الفيلم، هى نفرتيتى أو نفرتيرى فى آن واحد..

وتواردت أفلام المغالطات للواقع التاريخى فى إطار صناعة السينما الصهيونية الإسرائيلية.. فظهرت أفلام تشوه الواقع الإنسانى للحياة المثالية بما يتفق وأهداف الصهيونية.

ظهرت أفلام تتحدث عن اضطهاد العنصر اليهودى فى الولايات المتحدة منها فيلم «النار المتشابكة» لعام ١٩٤٧، إخراج ادوار ديمتريك

وهو أيضًا مخرج فيلم « المحتال » بطولة « كلارك دوجلاس » وفيلم (اتفاقية الجنتلمان) و« الحائط الخفى » ١٩٤٧ الذى أخرجه اليـاكازان »، والـذى يؤدى فيه جيروجورى بيك الدور الرئيسى.. على أن فيلم « الخـروج »، هو الذى يصرخ فى أعماق اليهود ليحـذرهم مـن الحيـاة خـارج إسرائيل.. فهذا الفيلم - إنتاج ١٩٦٠ - الذى وضع قصته الصهيونى المتعصب « ليون أوريس »، يجذب اليهـود فى أسـلوب مشـوق إلى إسرائيل فى مائتى دقيقة وأن يكون شأنه شأن فيلم « ميلاد أمـة » وهـو الفيلم الأمريكى ذائع الصيت.

ولفظ « الخروج » يشير إلى عدة معان.. منها خـروج اليهـود مـن مصر أيام موسى عليه السلام.. ومحـاولة دخـول البـاخرة « الخـروج » فلسطين حاملة اليهود الذين فروا من معسـكرات الاعتقـال فى ألمانيـا النازية الناجين من عمليات الإبادة الجماعية على يـد هتلـر.. ومـدى مقاومة القوات البريطانية الموجودة فى فلسطين لهؤلاء اليهود القـادمين. على أن فيلم « الخروج » يعتبر نقطة تحول فى السـينما الصـهيونية داخـل إسرائيل وخارجها. ومن قبل هذا الفيـلم كانـت صـناعة السـينما فى إسرائيل فى المهد، فاللسان العبرى لم يـكن ذا كفـاءة لـكى يـؤدى المضمون الهادف.

فحتى عام ١٩٥٣ لم يكن فى قـائمة الإنتـاج السـينمائى الإسرائيلى إلا ثلاثة أفـلام فقـط، ذلك لأن الاهتمام فى إسرائيـل كان مـوجهًا

للأفلام التسجيلية القصيرة، وهى أفلام الدعاية للأرض الجديدة.

وبعد فيلم «الخروج» انطلقت أفلام إسرائيلية تخاطب شباب إسرائيل بلغة غنائية تشيد بالأرض الجديدة، أرض الميعاد.

هذا وقد فرضت النغمة اليهودية العنصرية نفسها على الأفلام الأمريكية.. فمثلا فى الأفلام الغنائية نفاجأ بجولى اندروز فى فيلم «ميلى» لمخرجه جورج روى هيل.. إنتاج ١٩٦٧ وهى تتمايل طربًا فى فرح يهودى بمدينة نيويورك وتغنى للعريس بلسان عبرى إشارة إلى أرض الميعاد.

كذلك الحال فى فيلم «كباريه» الذى أخرجه بوب فوس، نرى ماريا بيرسون وفريتز ويبر وهما يتزوجان فى معبد يهودى إشارة إلى مفهوم العهد القديم.

ويبدو أن الأفلام الإسرائيلية بالذات وحتى عام ١٩٦٦ لم تصل إلى ٢٥ فيلمًا روائيًا طويلاً فقط.

الفيلم الصهيونى فى المهرجانات العالمية

وقد ابدت إسرائيل اهتمامًا بالمهرجانات العالمية، حين خرجت بفيلم «فجوة فى القمر» الذى أخرجه «يورى زوهار»، وقد عرض فى مهرجان كان لعام ٦٥ وفيلم «ثلاثة أيام وطفل» لمهرجان ١٩٦٧.

ويسوقنا الحديث إلى الاتجاهات السائدة فى السينما الصهيونية فى المرحلة التالية بفيلم «الخروج» إلى وجه السينما الصهيونية الإسرائيلية فى مهرجان ڤينيسيا عام ١٩٧٢، وهو المهرجان الذى يختتم به الأعمال السينمائية فى مهرجانات أوربا كان من بينها فيلمان إسرائيليان هما «تحيا أورشليم» وهو فيلم تسجيلى أخرجه الفرنسى «هنرى شابيبه» وفيلم «كباريه» وهو صهيونى، يأخذ شكل الطابع الموسيقى.

وفى عام ٧٥ عرضت إسرائيل باسم سويسرا فيلم «ظلال الملائكة» خارج المهرجان.. وادعت إسرائيل أن هذا الفيلم يطعن اليهود، وأنها تطلب وقف عرضه إلا أن اللعبة كشفت للحاضرين وبأنها عملية دبرت لها إسرائيل لعرض قضيتها من جانب خفى هى قضية الإنسان اليهودى الذى له قضايا أساسية فى هذا العالم.. هذا بالنسبة لوجه إسرائيل فى مهرجان كان لعام ١٩٧٥.. أما فى عام ١٩٧٣ فقد عرضت أفلامًا تدور حول انتصاراتها فى حرب يونيو وكلها تشيد بجيش الدفاع الذى لا يقهر.. منها «المنزل فى شارع شيلوش»، و«ولكن أين دانيال فاكس؟»... وغيرها من أفلام الدعاية الهابطة.. وفى عام ٧٧ حاولت إسرائيل أن تلتقط أنفاسها بعد هزيمتها فى أكتوبر ٧٣ فسعت بكل الوسائل لإبراز شخصية جيشها أمام الرأى العام العالمى.

عمدت إسرائيل فى مهرجان كان لعام ١٩٧٧، أن تقدم أمام أعين النظارة فيلم «عملية الرعد»، وتدور أحداثه حول عملية مطار

عنتيبي التي قام فيها الكوماندوز الإسرائيليون بعملية الإغارة على مطار عنتيبي عام ١٩٧٦ من أجل إطلاق سراح الرهائن فى الطائرة الفرنسية المخطوفة.. ولقد عمدت إسرائيل إلى إبراز قوة الكوماندوز الإسرائيليين أمام الرأى العام العالمى.. وعمل مناحيم جولان منتج ومخرج الفيلم على إبراز العنصر اليهودي وتمسكه بالأرض.. ودفاعه عنها حتى خارج إسرائيل.. ولم يكن هذا الفيلم وحده هو الذى يصور تلك الغارة الإسرائيلية اللعينة.. بل قد سبقته الصهيونية إلى إنتاج فيلم تسجيلى مدته ٢٠ دقيقة يحمل اسم «انتصار عنتيبى» لقى غضب الرأى العام العالمى فى كل مكان وأتى بنتائج عكسية على إسرائيل.

وإلى جانب فيلم عملية الرعد هناك فيلم عرضته إسرائيل فى مهرجان كان لعام ٧٧ ضمن الستة أفلام التى عرضتها هو «تل حلفون لايرد» وهو صرخة لليهود إلى التجمع المرفوض فى أرض الميعاد.

اليهود.. وعقدة النازى

تعيش عقدة النازية بين جلود اليهود إلى الأبد.. وهى عقدة متأصلة سببها المعاناة التى لقيها اليهود على أيدى النازى قبل وفى أثناء الحرب العالمية الثانية.. فلقد انصهر اليهود فى أفران النازية جماعات.. ونكل بهم هتلر حتى هبوا زرافات إلى حيث يوجد الأمان فى أمريكا وبلدان غرب أوربا.

هذه هى الموضوعات الرئيسية فى الأفلام الصهيونية إزاء تحدى النازى للعنصر اليهودى الذى راح بعدها يبحث عن مأوى وملجئ فى أرض فلسطين.. من هذه الأفلام.. فيلم «القطار» إخراج «جرانييه ديفيز»، وتدور أحداثه عام ١٩٤٠ فى قطار للاجئين اليهود الألمان.. وفيه يدور حوار صريح بين فرنسى ولاجئة ألمانية يهودية.. الشاب الفرنسى له ارتباطه الأسرى، أما هى فضائعة فى متاهات الدياسبورا.. إنها تبحث عن تجمع يحميها فلا تكاد تجده.. ووجدته بعد عناء فى إسرائيل التى هى الهدف.

وإذا نظرنا إلى كيفية استغلال الصهيونية لعقدة النازية فإننا نرى

أنفسنا أمام عديد من الأفلام المتنوعة التى تطرق الموضوع من عدة زوايا.

وقبل كل شىء نقول إن ما فعلته النازية فى يهود أوربا فعلته أيضًا فى شعوب أوربا والاتحاد السوفيتى.. لكن الصهيونية استغلت ما فعله النازيون فى اليهود ليكون مادة سينمائية دعائية لإقامة الوطن القومى فى فلسطين.

عمدت صناعة السينما الصهيونية إلى إبراز ما يسمى بشعب الله المختار كحقيقة واقعة لاشك فيها.. ومن خلال إنقاص قدر الشعوب الأخرى مثل «اليهودى الخالد» للدكتور «فريتز هيلبر»، و«اليهودى سوس»-لفايت هرلان، وقد بدت نزعة الصهيونية فيهما بشكل يثير عدة تساؤلات حول وضع السينما كفن للحياة.. هذا وقد بدأت هوليوود تنتج أفلامًا تركز على الاضطهاد الذى لحق باليهود فى أى مكان من العالم.. وقد عمدت إلى تصوير النازى بصور بشعة فى فيلم «الدكتاتور العظيم» الذى أنتج عام ١٩٤٠ إبان الحرب العالمية الثانية.

ويقودنا الحديث عن النازية فى السينما الصهيونية إلى قصة الفتاة اليهودية «آن فرانك» للمخرج الأمريكى «چورچ ستيفنز» وتدور أحداث الفيلم حول فتاة يهودية عذبها النازيون فى سجون الاعتقال.. وركز الفيلم على ألوان المعاناة والتعذيب الذى لقيته الفتاة «آن

فرانك ». وارتباطه بالتعذيب الجماعى لليهود على يد النازى.. كذلك فيلم « حدائق فيندرى كونتينى » الذى أنتج عام ١٩٧١ للمخرج الإيطالى « فيتوريو دى سيكا » - « وبيك وكوبلجرام » للفرنسية « راشيل فينبرج » لعام ١٩٧٢ وكل هذه الأفلام تتعرض بشكل واضح لمحنة اليهود على يد هتلر، تلك المحنة التى تنتهى فى فيلمى « مذكرات آن فرانك »، و« حدائق فيندرى كونتينى » إلى أفران كان يباد فيها اليهود جماعات.

كذلك يسوقنا الأمر إلى فيلم « اللمسة » الذى أخرجه المخرج السويدى « إنجمار برجمان » البطل فيه إسرائيلى هاجر من ألمانيا النازية مع أسرته إلى أمريكا ثم إلى إسرائيل أخيرًا حيث هى الهدف..

وواضح من هذا الفيلم أن هناك تمثالاً جميلاً تنحنى عليه حشرات لتأكله حين أشع عليها النار ليكشف لها عن وجوده.. ويبدو البطل « دافيد » إشارة إلى الجنس اليهودى، أما التمثال فهو تمثال العذراء الذى يتآكل، إشارة صريحة إلى أن هذا التمثال يشير إلى معنى الظلام.

أشياء قلقة فى نفوس اليهود.. وأنفقت الصهيونية الكثير لكى تبرز قضية اليهود إلى الرأى العام العالمى.. لكن... هل انتهت عقدة النازى؟ هل بات اليهود فى مأمن من تلك الوخزة التى تقلق عليهم حياتهم؟

لقد قال اليهود كلمتهم عن معنى العـذاب.. قـالوها فى السـينما لعرض قضيتهم التى لم تنته بعـد.. وأكدت الجـرح وعمقتـه حـرب أكتوبر ٧٣ حيث أحيت عقدة النازى داخل جلود اليهـود إذ تـلازمت المعاناة وتجسد الضياع والعزلة وتحطيم الذات اليهودية إلى الأبد.

اليهود السوفيت فى السينما الإسرائيلية

ظل جحيم العزلة والضياع مسلطًا على اليهود داخل الاتحاد السوفيتى، مما خلق فى نفوسهم عقدة اليأس من المستقبل.. وجسدتها الأيام الحالكة التى مرت باليهود السوفيت.. ولقد حرك تلك المشاعر القاتلة التى تنخر فى قلوب اليهود السوفيت، ما وصل إليهم من كتب ونشرات دعائية حاكت أساليبها الصهيونية العالمية لاستدراجهم إلى إسرائيل.. أرض العسل واللبن.. أو أرض الشمس المشرقة.

وبدت منذ الخمسينات صناعة السينما الإسرائيلية تطرق موضوعًا يتحدث عن هذه القضية.. وهو استدراج اليهود السوفيت للهجرة إلى إسرائيل.. ومن أفلام الدعوة إلى النزوح إلى إسرائيل فيلم «بلد الشمس»، ذلك لأن الدعاية الصهيونية بالغت فى تصوير الأراضى السوفيتية بأنها «أرض الصقيع والجليد».

وعلى سبيل المثال نتوقف أمام فيلم «هروب إلى الشمس»، وهو فيلم إسرائيلى فرنسى ألمانى مشترك.. أخرجه مخرج إسرائيل المشهور «مناحيم جولان»، ومثله الممثل الإنجليزى المشهور «لورانس هارفى»،

مع بطلة فيلم زوربا اليونانى و «جوزفين شابلن» ابنة شارلى شابلن، ملك السينما فى العالم، وشارك فى الفيلم بالطبع عدد من الممثلين الإسرائيليين «يودا باركان»، وتحكى قصة الفيلم أن ثمانية أشخاص من اليهود السوفيت لم تعجبهم الحياة المغلقة، فاستقلوا طائرة وهربوا بها إلى الشمس.. إلى إسرائيل.. وعاشوا فيها.

وتقول النشرة الدعائية التى تروج لهذا الفيلم.. وهى نشرة إسرائيلية : إن هذا الفيلم «هروب إلى الشمس»، أحد دعائم الأمم المتحدة وحقوق الإنسان المتعارف عليها دوليًّا.. فهو يؤكد أن من حق أى إنسان مهما كان، أن تكون له الحرية فى أن يختار البلد الذى يعيش فيه دونما ضغط أو اكراه.. بحيث أن الحدود السياسية يجب أن توجد فقط كعلامات «جغرافية»، لتحمى صناعة كل بلد.

ويقول الفيلم إنه أمر حقيق أنه مازال هناك حتى الآن - حتى وقت إنتاج الفيلم - بلادا أغلقت حدودها تمامًا بحيث يعيش الناس فيها محبوسين كما لو كانوا فى «جيتو» العصور الوسطى.. هذا ما تقوله النشرة الإسرائيلية عن هذا الفيلم الذى ربطته بقضية سياسية..

ولقد اعتمد الفيلم على نقطة حساسة هى الحب.. إذ بدا فى الفيلم طالبان عاشقان يريدان أن يقيما حياتهما فى بلد حر آمن.. ونجدهما يهربان ضمن مجموعة مكونة من ثمانية بإحدى الطائرات إلى

بلاد الشمس.. ومن حوار الفيلم نلتقط هذه الكلمات.

- إن المعاملة القاسية التى نلقاها فى هذا البلد - لا يمكن اغتفارها ولن يسمح بها مجتمع القرن العشرين.. إن مأساتنا مأساة إنسانية...

.. ولم تقل النشرة السينمائية ما هو هذا البلد الذى يتحدث عنه فيلم «الهروب إلى الشمس» لكن الملابس التى بدت فى مشاهده تقول لنا إنه الاتحاد السوفيتى.. والمهم هو إلحاح «الفيلم» على جذب اليهود من كل مكان إلى إسرائيل.

عازف الكمان على السطح

وننتقل إلى فيلم آخر يحمل اسم «عازف الكمان على السطح»، وهو فيلم أنتجته الأجهزة الصهيونية وأخرجه «فورمان جويسون»، وقد صورت معظم مناظره فى يوجوسلافيا لتشابه الطبيعة بين روسيا ويوجوسلافيا.

وأحداث الفيلم تدور قبل الثورة عام ١٩١٧ فى روسيا وهى الثورة البلشفية.

والفيلم مأخوذ عن مسرحية موسيقية كتبها «جوزيف شتاين» ووضع موسيقاها «جيرى بوك».. ويلعب بطولة الفيلم الممثل المشهور

« توبول »، الذى يبدو مغنيًا راقصًا وممثلا لشخصية أحد اليهود السوفيت قبل الثورة.

يبدأ الفيلم بظهور مشاهد لقرية روسية فقيرة معدمة يقبع على أحد أسطح منازلها رجل يائس يعزف الكمان فى حزن ومرارة.

هكذا يقول « توبول » شارحًا مغزى الفيلم الذى يمجد الشخصية والتقاليد اليهودية.

- كل منا عازف كمان فوق السطح فى هذه القرية الصغيرة.. يقولون لى.. لماذا تبق فوق هذا السطح؟ أليس فى ذلك خطورة؟ لكننا نبق هنا لأن هذا هو وطننا وقد تسأل: كيف تحتفظ بتوازنك؟ وأجيبك بكلمة واحدة: إنها التقاليد.

ولنا هنا وقفة عند هذه النقطة التى أثارها هذا الفيلم.. لقد برزت إلى الأذهان مغالطة خطيرة فى حديث « توبول » الذى أشار إلى بقائه فى روسيا لأنها وطنه. وطن كل يهودى.. تبرز عدة ملاحظات سياسية:

أولاً: أن هذا المنطق ينسف فكرة إسرائيل كوطن قومى لليهود فى فلسطين.

ثانيًا: أن الفيلم تم تصويره قبل حملة اليهود الإرهابية للخروج من الاتحاد السوفيتى وطنهم الذى باعوه فى لحظة ليهاجروا إلى إسرائيل.

ثالثًا : اليهود عادوا يبكون من أجل الهروب إلى الشمس.. إلى أرض الأحلام

رابعًا : العودة إلى البكاء المر والهروب من إسرائيل بعد أن اصطدموا فيها بالواقع المر.

من هنا تسقط فى أول مشهد دعوى الفيلم إلى الهجرة إلى إسرائيل برغم ما يحاول أن يصنعه بعد ذلك من أباطيل، حين يقدم اليهود فى الاتحاد السوفيتى أقلية مثقفة مضطهدة، لكنهم يتعرضون لاضطهاد الروس لهم بلا سبب.. وإصرارهم على طردهم من القرية حيث ينتهى الفيلم بمشهد تاريخى فى حياة اليهود فى العالم كله.. موكب اليهود المطرودين من القرية الروسية وهم فى طريقهم إلى مأوى آخر.. ويبدو «توبول» وهو يودع حصانه وبقرته ويجر عربة متاعه بنفسه ووراءه أفراد أسرته.. ونسمع نغمات موسيقى باكية حزينة، ثم تركز الكاميرا أضواءها على عازف الكمان الذى يواصل لحنه التاريخى.. لحن المعاناة التى يلقاها اليهود فى الاتحاد السوفيتى.

إنه الهروب الأكبر إلى حيث الشمس.. لكن الشمس فى إسرائيل لم تكن ساطعة.. فلقد اصطدم اليهود السوفيت بالمأساة فى هذا البلد.. وجدوا أن الشمس لم تكن مشرقة.. وسمعوا صوت الكمان يعلو نحيبه، وعادوا من حيث أتوا لا إلى الاتحاد السوفيتى.. بل إلى متاهات العالم كأقلية غرباء..

عقدة السامية فى السينما الصهيونية

كيف تسعى الصهيونية بكل الوسائل المتاحة لها ماليًا وفنيًا، لطعن السامية فى شخص السيد المسيح عيسى عليه السلام..؟ كثير من الأفلام الصهيونية المضللة للواقع التاريخى المتعارف عليه تسعى إلى التقليل من شأن المسيح.

هناك العديد من الأفلام التى تمولها الصهيونية وتروج لها إسرائيل بكل الوسائل فى المهرجانات السينمائية الدولية.. وكل هذه الدعايات الخفية تحمل سلاحًا متعدد الأهداف.. هناك على سبيل المثال.. سلاح التقليل من شأن المسيح والمسيحيين وجعلهم فى مرتبة أدنى، أما اليهود فهم الممتازون بالاستثنائية، ذلك لأنهم شعب الله المختار.. وهناك الطعن فى شخص المسلمين والتقليل من قدرتهم فى هذا الوجود.. كذلك فإن صناعة السينما الصهيونية تركز على عالمية القصة والشخصية من أجل الوصول إلى مأرب خفى خبيث.

ففى فيلم الوصايا العشر بدت المغالطات الصهيونية تفرض نفسها على الفيلم وتحوله إلى قضية سياسية لا أساس لها من الواقع دونما نظر

إلى الحقائق التاريخية المتعارف عليها.. «فسيسيل ب. ديميل»، مخرج الفيلم أراد أن يتصدى لقضية عالمية.. هى قضية اليهود ومعايشتهم فى الأراضى العربية مبررًا بأسانيد ليس لها سند من الواقع.. وهو بهذا العمل كان يهدف إلى مآرب ذاتية من خلال عمل فنى.. لكن تيار الواقع أغلق عليه الباب وراح يراجع نفسه فى لحظات حساب مع النفس.

وتقودنا قضية السامية فى السينما الصهيونية إلى مشكلة المسيح لديهم.. فهم كثيرًا ما يعودون ليفجروا قضايا حوله من طرق خفيه متعددة الجوانب والاتجاهات.. فبتدبير من الصهيونية حصل المخرج الدانمركى «نيس جورجن ثورسين»، على إذن بتصوير فيلم عن حياة السيد «المسيح»، فى بريطانيا بعد أن رفضت ذلك من قبل الدانمارك والسويد وفرنسا ذلك لأن سيناريو الفيلم يسىء صراحة لقداسة السيد المسيح وحياته.. وقال «الكاردينال هيوم»، كبير أساقفة الروم الكاثوليك فى «بور ستمنستر» إننى أعارض هذا الفيلم وعلى السلطات البريطانية أن تمنع ذلك.

وللأساليب الصهيونية ضد السامية مراحل عدة فى تشويه سيرة السيد المسيح وتجدر العودة هنا إلى عدة حقائق تلزمنا آنفًا قبل الدخول إلى أبعاد هذه الدراسة.

فطوال أربعين عامًا ظل المؤرخ وعالم الآثار البريطانى «هافى

شونفيلد »، البالغ من العمر - ٧٠ عامًا - عاكفًا على دراسة الوثائق المكتوبة والحفريات الأثرية والمخطوطات القديمة عن حياة السيد المسيح. وخرج فى نهاية الأمر بكتاب ضخم يحكى قصة حياة السيد المسيح الهائلة.. التى لم يشبها أى اعوجاج وبدأت المشكلة عندما تحول هذا الكتاب إلى فيلم سينمائى يتم تصويره فى الولايات المتحدة ويخرجه « ميشيل كامبوس »، ويقوم بتمثيل شخصية المسيح ممثل يهودى شاب غير معروف فى الوسط السينمائى يدعى « زالمان كينج »، وما أن ذاع الخبر حتى ثار جماعة المجتمع المسكونى العالمى مطالبين بإغلاق الكنائس احتجاجًا على هذا العمل العدائى..

ومن بين هذه الكنائس التى ثارت ثائرتها « كنيسة الناصرة »، وأعلنت أنها ستقذف بالحجارة أية دار للسينما تعرض هذا الفيلم.

وأحس مؤلف الكتاب « هافى شونفيلد » بالحرج، وأنه لابد أن يُصدر كتابًا يشير فيه إلى المغالطات التى افتعلها اليهود فى حياة المسيح ولم تكن واردة فى كتابه فلقد أظهر الفيلم معجزات المسيح على أنها شعوذة شيطانية، فى حين أن كتاب هارفى عرضها على اعتبار أنها إعجاز حقيق خارق للعادة، حتى إنه أشار إلى أنه اعتمد فى كتابه على وثائق البحر الميت - التى درسها والتى اكتشفت فى مغارة من مغارات التلال الصخرية بالمصادفة على ساحل البحر الميت، وهى محل دراسة للهيئات العلمية الدولية المتخصصة، خاصة مكتبة

الفاتيكان بروما والمكتبة القومية.. والمتحف البريطانى بلندن ومكتبة اللوفر فى باريس ومعامل مكتبة الكونجرس الأمريكى.

لكن المشكلة فى الفيلم فوق هذه المغالطات، تنحصر فى التركيز على الحياة الجنسية المفتعلة والتى تتنافى مع قيم المسيح المقدسة. إن القصة تحمل اسم «الوجوه المتعددة للمسيح».

* * *

ولم تخمد جذوة صراع الصهيونية العنصرى ضد السامية.. وغمز السيد المسيح.. ولست أدرى كيف تركز على حياته هو بالذات لتنال منه؟.. إنها قضايا تنخر فى جلودهم جسدتها عقد قديمة.. فهم تلقون غير مسترحين للواقع.

فقد ظهرت فى الأوساط العالمية مسرحية مشهورة تحمل اسم «المسيح.. النجم الأعظم»، ظلت تعرض فى لندن طوال عام كامل على مسرح «البالاس»، ومن العجيب أن نفس المسرحية كانت تعرض فيلمًا سينمائيًا فى دار سينما على بعد أمتار من المسرح المذكور، وهو مأخوذ عن قصة المسرحية التى ألفها شاب إنجليزى يدعى «تيم رايس»، ولد فى ١٠ نوفمبر عام ١٩٤٤.. فهو شاب أراد الشهرة على حساب الصهيونية وشخص المسيح مفتعلا قضية تبرئة يهوذا الإسخريوطى من دم المسيح.

فالمسرحية والفيلم يقدمان البراءة القاطعة ليهوذا.. أى أنهما يبرئان

اليهود من دم المسيح، حيث تشير القصة إلى أن يهوذا الإسخربوطى كان مساقًا بقوى غيبية، ولم يدر كيف فعل فعلته الشنعاء هذه، بدليل أنه فى نهاية الفيلم يتلمس من المسيح المصلوب الصفح والمغفرة.

كل هذا إلى جانب إبراز شخص المسيح فى بداية القصة فى صورة إنسان يرقص ويغنى ويتمايل هنا وهناك لإضحاك المشاهدين.

ولست أدرى كيف صمت المسيحيون الذين شاهدوا هذا الفيلم؟ فقداسة السيد المسيح أسمى من أن تمس.

* * *

وهناك لطمة موجهة لإسرائيل حدثت فى مهرجان «كان» السينمائى الدولى الثلاثين، الذى عقد فى ١٣ مايو عام ١٩٧٥..

فلقد ازدحمت مدينة كان بالصحفيين من كل مكان، ونجوم الفن الدوليين، والنقاد والوفود الرسمية التى حضرت المهرجان.

بدأ المهرجان رسميًا كما هو مخطط له وازدحمت القاعة الكبرى قاعة «جان كوكتو»، وحدثت المفاجأة المذهلة.

تقدمت سويسرا بفيلم اسمه «ظلال الملائكة»، يحكى مجرد قصة شاب يهودى وما يدور بخلده من أفكار وما يهدف إليه من تطلعات عنصرية صادقة.. وعرض الفيلم بصفة رسمية ممثلا لسويسرا قبل نهاية المهرجان بخمسة أيام.. وبعد عرض الفيلم رسميًا بيومين، طالعتنا

النشرات اليومية للمهرجان بأن الوفد الإسرائيلى قد انسحب نهائيًا من ذلك المهرجان احتجاجًا على عرض هذا الفيلم الذى وصفه رئيس الوفد الإسرائيلى بأنه فيلم يتعر ض للسامية وضد السامية، وما كان يجب أن يعرض هذا الفيلم.

ونتوقف هنا قليلا لنتساءل فى دهشة.

أولًا : أن السيد رئيس وفد إسرائيل الذى جاء من إسرائيل بصفة رسمية لمتابعة أفلام المهرجان، يدعى بأنه لم يــر ذلك الفيلم صراحة، وأنه احتج على عرض الفيلم بناء على ما سمعه من النقاد والحاضرين الذين شاهدوا العرض فأين كان رئيس الوفد الإسرائيلى فى أثناء العرض ؟

ثانيًا : كيف يحتج على عرض فيلم لم يره هو وبنى معارضته على رؤية الجمهور له كذلك نفيه مشاهدة الفيلم فى عرض خاص.

ثالثًا : لم يطلب المندوب الإسرائيلى مشاهدة الفيلم المحتج عليه إلا بعد عرضه رسميًا بأيام وبعد أن أشرف المهرجان على الانتهاء.. وبالتحديد قبل انتهاء المهرجان بيوم واحد فقط.

وحين أخبره المسئولون عن المهرجان بأن نُسخ الفيلم عادت إلى سويسرا، كانت هى الحجة الواهية التى استند إليها مندوب إسرائيل، لكى يطلب عرضه، وهنا انسحب من المهرجان بطريقة مكشوفة غير واعية قبل نهاية المهرجان بيوم واحد.

وهكذا انتهت لعبة إسرائيل التى كانت موضع سخرية الحاضرين للمهرجان وكانت تعليقاتهم أن هـذا ليس بجديد على الصهيونية وإسرائيل.

يبقى سؤال.. ماذا بعد فى جعبة الصهيونية وإسرائيل حول السامية والمسيح؟ إن الأيام ستكشف المزيد من مساوئ الصهيونية وعنصريتها السافرة.

الأفلام التسجيلية الإسرائيلية..
والانعكاسات المضادة

منذ أن قامت السينما الإسرائيلية فى بداية الخمسينات.. والسينما التسجيلية تتخذ طريقها كفن دعائى يهدف إلى تثبيت دعائم الدولة الجديدة المغروسة. خطأ فى أرض عربية.

عمدت إسرائيل إلى إنتاج عديد من الأفلام التسجيلية التى تتحدث عن أمجاد اليهود وعن أرض الميعاد.. أرض الجدود وهى تحاول تأصيل هذه الفكرة فى عقول الجيل الجديد.. جيل السابرا بالذات الذى يشعر بمرارة الغربة والضياع فى بلد أصبح محاطًا بتيار عربى قوى يحيط به من كل جانب..

اتخذت السينما التسجيلية الإسرائيلية طابعًا مميزًا فى أسلوب الدعاية التأثيرية التى تستطيع تشكيل العقلية الإسرائيلية فى هذا البلد.

كذلك تعمل صناعة السينما التسجيلية على إبعاد الشخصية العربية عن الحياة العربية فى فلسطين. خاصة قضية العرب فى الأراضى العربية المحتلة.. فحاولت أن تخلق منهم جنسًا متمازجًا متفاهمًا يتبع

اليهود، فى فيلم تسجيلى مدته عشرون دقيقة يحمل اسم «أنا أحمد»، وفيه تصب الدعاية اليهودية سمومها فى خلق جو من التمايز والتوافق بين العرب واليهود داخل إسرائيل، حيث يصور الفيلم شخصيات عربية ترى أن الحياة سعيدة وميسرة مع اليهود، فضلا عن الحياة مع إخوانهم العرب.. ولم تغفل السينما التسجيلية الإسرائيلية دور الشخصيات اليهودية مثل شخصية «ديفيد بن جوريون»، الذى أنتجت إسرائيل فيلمًا تسجيليًا عن تاريخ حياته وبرغم كل الدعايات التى أثارتها إسرائيل حول فيلم «بن جوريون يتذكر»، وبرغم كل محاولات مخرجه «ديفيد بيرلوف» بتقديم كل إمكانات السينما الجديدة كما يتصورها هو، فإن الفيلم على المستوى السينمائى والموضوعى بدون أى تحيز فيلم ردىء جدًا.

إن النغمة التى تحاول أن تصنع من بن جوريون إلهًا من آلهة زماننا هذا إنما هى نغمة هزيلة لايمكن أن تقنع أحدًا. كذلك فإن المغالطات التاريخية تدين هذه الشخصية الإسرائيلية الكبيرة.. كما أن هذه المغالطات تتجاهل حقوق العرب تماما وتقدمهم كشخصيات مهينة.

ومن الناحية التكنيكية البحتة، فإن محاولات كاتب السيناريو «أريك بايس»، لتقديم حياة ديفيد بن جوريون فى قالب تسجيل سينمائى روائى متمازج فإنها فى النهاية تقدم خليطًا مشوهًا ومربكًا من

تتابع الأحداث وتنافر أدوار الممثلين. كما أن كل الحيل الجيدة التى أبرزها المصور «آدم جرينبرج» لاستخدام الألوان، والتأثيرات المعملية، جعلت الفيلم يسقط فنيًا لعدم مناسبة كل هذه الحيل للموضوع.. وكان على المخرج أن يتدارك ذلك جيدًا وهو يقدم للرأى العام العالمى فيلمًا تسجيليًا عن حياة شخصية صهيونية كبيرة.

* * *

يبدو الفيلم بمشهد يرمز إلى الإسرائيليين المتحضرين وهم يفلحون الأرض، لكن فجأة تأتى قوة عربية تحاصرهم، العرب يركبون الجياد ويسأل أحد الأعراب الإسرائيليين الذين يحضرون.

- من أنتم؟

فيجيب الإسرائيليون بنفس السؤال..

- من أنتم؟

ويبدأ الفيلم بعد ذلك بهذا السؤال المبدئى من لحظة انتهاء الانتداب البريطانى فى فلسطين فى ١٤ مايو ١٩٤٨ حيث يحل الإسرائيليون محل البريطانيين فى نفس ثكناتهم وتبدأ المعركة بينهم وبين العرب، يبدو فيها الإسرائيليون مثل أبطال أفلام «الكاوبوى» فى حين يبدو العرب ضعفاء إلى حد المهانة.

ثم يأخذ الفيلم مسلسلا حياة ديفيد بن جوريون منذ طفولته مستخدمًا الصور الثابتة أحيانًا والمشاهد الحية أحيانًا أخرى، وهى التى

يؤديها ممثل شديد الشبه بديفيد بن جوريون فى شبابه، وممثل آخر شبيه له فى شيخوخته.. وتتوالى الأحداث التاريخية من وجهة نظر الدعاية الصهيونية لتلك الشخصية الأسطورية.

وينطلق شعار من صوت خفى ليقول «فى البدء كانت التوراة».. ثم الحلم.. ثم الواقع»، ثم يبدو بن جوريون معلنًا قيام دولة إسرائيل.

ويبدو بعض الشخصيات اليهودية فى بناء الدولة اليهودية.. مثل هرتزل.. الذى أشار بإقامة إسرائيل فى «أوغندا»، لكن الرد يأتى فى الفيلم ليقول: «ولكنهم يفضلون فلسطين لأن لها جاذبية».. على حين يبدو الفلسطينيون جالسين فى المقاهى يلعبون الطاولة ويدخنون الشيشة ويعزفون على المزمار وهم يرتدون الطرابيش.

* * *

وتتابع مغامرات بن جوريون الأسطورة اليهودية منذ هجرته من بولندا ووصوله إلى أرض فلسطين وسط أخطار عديدة، وحيل ذكية مثل أبطال السينما، لكن المخرج يقدم لنا بين وقت وآخر مشاهد يلعبها الإنجليز والعرب واليهود معًا.. هنا ضابط إنجليزى يسأل خادمه العربى الذى يقدم له القهوة:

- إن العرب واليهود يعيشون هنا فى سلام.. فما رأيك فى إقامة وطن لليهود هنا؟!

ويبصق الخادم العربى بصقة كبيرة دونما تعليق.. ثم يبدو اليهود وهم نشطون فى فلاحة الأرض والتعمير وبينهم بن جوريون الشاب الذى يبدو نشطًا وهو يصوب نظره إلى العرب راكبى الجمال..

وطلب خبراء من أمريكا.. كما يشير الفيلم إلى ضرورة إقامة مصانع للأسلحة فى إسرائيل.. ثم تنتقل «الكاميرا» مع بن جوريون إلى الولايات المتحدة ليقول لزعماء أمريكا اليهود:

- لست أتحدث هنا عن الأموال.. إننى أتحدث عن الأسلحة..

ثم يتحدث الفيلم عن معركة بين اليهود والعرب، يبدو فيها اليهود وهم بأردية مدنية، وهم يزحفون على أحد المعسكرات العربية فيقتحمونه.. وينطلق صوت أحد العرب قائلا عن اليهود الذين اقتحموا الموقع - لابد أنهم مجانين.. فيرد عربى آخر وهو يشير إلى رأسه - نعم.. ولكن ليس هنا.. بل هنا.. (يضع يده على قلبه).

هكذا يبدو تمجيد اليهود حتى على ألسنة العرب أنفسهم من وجهة نظر إسرائيلية.

وينتهى الفيلم بمشاهد تسجيلية عن حياة بن جوريون، مع بعض المشاهد المصورة فى إسرائيل حديثًا.. كذلك بلقطات من الطائرة بين الصحارى الواسعة فى المنطقة، لتبدو المدن الإسرائيلية الحديثة التى

أنشأها اليهود فى المناطق العربية.. وفوق جثث العرب أصحاب الأرض الحقيقيين.

هذا هو الفيلم التسجيلى الذى يتحدث عن شخصية ديفيد بن جوريون الأسطورة، وهو بلا شك دعاية صهيونية هابطة لمغالطتها للواقع التاريخى المتعارف عليه دوليًا وعلميًا، ولم تغفل السينما التسجيلية الإسرائيلية أسلوب مقاومة الفدائيين العرب.. فقد انتجت إسرائيل عام ٦٨ فيلمًا تسجيليًا يحمل اسم «عازيت.. الكلبة الفدائية»، وهو يصور نشاط كلبة يهودية مسئولة مسئولية كاملة عن حماية خط بارليف، وقد دربت تدريبًا شاقًا.. وذكيًا.. تجلى فى ذكاء الكلبة التى كانت تأتى بالمعجزات الخارقة عن تعقب خطوات الفدائيين العرب.

عازيت.. كلبة فدائية وفية، تصحب صديقها الجندى «يورى» إلى قاعدته العسكرية. وتصبح بذكائها عضوًا عاملاً فى الكوماندوز.

إن هذا الفيلم للأطفال والشبان فى إسرائيل، ذلك لأنه يخاطب العقلية غير الناضجة.

وبعد عام ٧٠ قامت إسرائيل بإنتاج العديد من الأفلام التى تصور شجاعة المقاتل الإسرائيلى على نمط عالمى.. وتبرز معنى التقدم الحضارى فى إسرائيل.

هناك فيلم «أرض الميعاد»، الذى أخرجه المخرج الألمانى «مانفريد

فوش »، الذى صورت مناظره فى إسرائيل. ولقد حدثت مشاكل عديدة بين المخرج والسلطات الإسرائيلية التى تدخلت فى سيناريو الفيلم، وأجبرت المخرج على تصوير لقطات معينة جعلت الفيلم مهتزًا من أساسه.. مما دفع المخرج الألمانى إلى الإفصاح عما يدور فى إسرائيل حقيقة.. كما أنه فى ألمانيا ظهرت عدة أفلام تسجيلية تواجه فى قسوة موجة الأفلام التسجيلية الإسرائيلية الصهيونية الموجهة ضد العرب، وأن مانفريد فوش عضو فى هذه الجماعة الألمانية التى تسمى « مجموعة ميونيخ » التى بدأت عملها عام ١٩٦٣ والتى أحست بتغلغل الفكر الصهيونى العنصرى داخل نقابات العمال فى ألمانيا الغربية، ومجموعات الشباب الاشتراكى.. وذلك عن طريق النشرات والأفلام التسجيلية التى نفثت سمومها داخل قطاعات كبيرة من الحياة الألمانية.

وهناك أساليب شتى للصهيونية نشطت بعد حرب يونيو ٦٧، وكان يقودها رئيس الطائفة اليهودية فى ميونيخ والذى أثار الشكوك ضد القوى الديمقراطية فى ألمانيا التى شجبت العدوان على الدول العربية.. كما أن المسئولين عن مهرجان السينما الذى أقيم فى برلين الغربية رفضوا عرض الفيلم الذى أنتجته « مجموعة ميونيخ »، وهو فيلم « أين تقع فلسطين؟ »، الذى يدين العدوان الصهيونى على أرض فلسطين وهو يواجه صراحة سلسلة الأفلام التسجيلية الصهيونية.. وكان وراء رفض عرض هذا الفيلم فى مهرجان برلين الغربية لعام ١٩٧٢ يد صهيونية تدعى أن هذا الفيلم يشوه العلاقات الحسنة مع

ألمانيا والطائفة اليهودية فى برلين الغربية بالذات.

ولقد كشفت القناع مجلة «كويك» الواسعة الانتشار، وقالت إن هناك يدًا خفية للمخابرات الإسرائيلية تعرقل عرض هذا الفيلم، الذى يدين اليهود صراحة ويكشف عنصرية إسرائيل.. وانطلاقًا من هذه الوثائق بدأت ملاحقة أية أنشطة فنية توجه ضد إسرائيل.. لكن فيلم «أين تقع فلسطين» قد لقى رواجًا كبيرًا فى أنه وجه لطمة كبيرة للصهيونية العالمية، خاصة حينما عرض فى مهرجان «أوبرهاوزن»، وقد طلبته محطات تليفزيونات كندا لترد به على أفلام الدعاية التسجيلية الإسرائيلية، كذلك تليفزيون لندن وبلغاريا والاتحاد السوفيتى واليابان.

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى فيلم «إسرائيل ٧٤» الذى يمجد إسرائيل خاصة بعد حرب أكتوبر وهو يحاول التقاط الأنفاس الميتة.. إنه يقول للعالم إن إسرائيل لا تزال باقية برغم لطمة حرب أكتوبر.. وهذا الفيلم ليس فيه تجديد للفكرة.

وتلزمنا الأمانة الفنية أن نشير إلى فيلم (إسرائيل أرض الميعاد)، الذى يقول عنه مخرجه مانفريد فوش إنه تضارب بين الحقيقة والحلم.. وإن المغالطات تبدو فيه على أفواه المسئولين الإسرائيليين.. حتى إن جماعة «بروميثيوس الجديدة فى ألمانيا»، وهى جماعة للأفلام السياسية الألمانية الموجهة ضد الدعاية الصهيونية أشارت إلى أنه فيلم هابط.. وهو دعاية مغالطة.

يقول فوش وهو رئيس تلك الجماعة : إن الصهيونيين يعبرون فى هذا الفيلم عن أفكار تسودها لهجة فاشية غاشمة يرفضها الرأى العام فى عصرنا.. ذلك لأن اليهود عانوا كثيرًا من عقدة النازية على يد هتلر، لذلك فهم يحاولون بث أنماط من الزهو والانتصار.. ويقول فوش.. إن الفيلم التسجيلى الإسرائيلى لم يجد المناخ الغنى الهادف بعد حرب أكتوبر ٧٣، ذلك لأن المناخ قد تغير تمامًا.

.. ونعود أيضًا إلى فيلم « إسرائيل ٧٤ » الذى عرض فى مهرجان ليبزيج والذى قامت بإنتاجه عناصر صهيونية فى ألمانيا الديمقراطية.. والفيلم جزءان كلاهما ريبورتاج تسجيلى عن الوضع العام من إحساس وانطباعات رجل الشارع الإسرائيلى بعد حرب أكتوبر سنه ٧٣. وحول رأى رجل الشارع الإسرائيلى عن الحرب والسلام ومستقبل الحياة الإسرائيلية.. وصورت لقطات الفيلم داخل إسرائيل.

* * *

ونتنقل إلى فيلم « انتصار عنتيبى » الذى أنتجته إسرائيل فى بداية عام ١٩٧٧.. وهو الفيلم الذى أثار ضجة عارمة ضد إسرائيل فى أوساط الرأى العام العالمى. وأثار موجات متلاحقة من العواطف الساخنة التى أتت بدعاية عكسية على إسرائيل.. الفيلم يحكى عن الغارة الإسرائيلية على مطار عنتيبى الأوغندى فى يوليو ٧٦ لإنقاذ ركاب الطائرة الفرنسية التى اختطفها الفلسطينيون وفى هذا الفـ!

تتجلى قدرة الكوماندوز الإسرائيليين لتقول للرأى العام العالمى إنه لا تزال فى الجيش الإسرائيلى بقية من رمق، وإنه لم يمت بحرب أكتوبر.

لقد توفى فجأة فى لوس انجيلوس الممثل البريطانى المولد « بيترفينش » البالغ من العمر ستين عامًا بأزمه قلبية وهو الذى تقمص شخصية إسحق رابين فى الفيلم الذى تكلف ١٢ مليون دولار، والذى قصدت به إسرائيل استعراض عضلاتها أمام العالم، واستعادة ثقة الإسرائيليين فى جيشهم المهزوم.. كذلك أصيب الممثل الأمريكى « جيوفرى كامبريدج » بأزمة قلبية، وهو الذى مثل شخصية عيدى أمين فى الفيلم، إنها لعنات تقابل هذا الفيلم فى كل مكان.

وكانت هناك عشرات القنابل تلاحق الفيلم فى اليابان وفرنسا وإيطاليا وبريطانيا والبرازيل والأرجنتين والولايات المتحدة.. وكان أخطرها انفجار قنبلة بدار سينما بالأرجنتين أدت إلى تدمير السينما تمامًا.

بهذه القضية العالمية التى واجهت الفيلم.. فيلم « انتصار عنتيبى » سقطت السينما التسجيلية إلى الهاوية.. بل إنها أتت بدعاية مضادة لإسرائيل.

وقبل أن ننهى الحديث عن السينما التسجيلية الإسرائيلية نقول إن هناك فى جعبة الصنهيونية مشروع فيلم جديد يحمل اسم « الأحد

الدامى »، يقول عنه « شارل ميشترا المعلق السينمائى لمجلة » نيوزويك : « إنه فيلم مخيب للآمال أن تقوم ممثلة مشهورة هى النجمة السويدية « ليف أولمان »، بدور فى هذا الفيلم.. أيضًا الممثله السويسرية.. مارق كيلر »، التى تقوم ببطولة فيلم « الأحد الدامى »، الذى يدور حول العمليات الفدائية الفلسطينية فى الأراضى العربية المحتلة.

ويقول المعلق شارل ميشتر « إن هذا الفيلم الذى تنتجه الصهيونية لن يقول كلمة صادقة للرأى العام عن العرب، وإن اليد الصهيونية تعمل لتشويه الحق العربى.. ولتشويه الثوار العرب على أنهم قتلة يهددون الأمن ».

فماذا تبقى للسينما التسجيلية الإسرائيلية الصهيونية بعد أن أتت مساعيها بنتائج عكسية وماذا تبقى فى جعبة صناع الدعاية الهابطة ؟

يورى زوهار.. وعقدة العنصرية

فى إسرائيل مخرج سينمائى عادى جدًّا.. إنه يورى زوهار.. يعتبرونه أسطورة، ذلك لأن أفلامه تمتاز بفخفة الظل، وإن كان موضوعها تافهًا.

إن عقدة «الامتياز» والاختيار والتفرد، هى التى تحكم الشخصية الإسرائيلية، وهى التى تغلفهم بمسوح العبقرية المقنعة.. فكل شخص إسرائيلى عبقرى فى زعمهم.. وكل عمل أسطورة رائعة.. وكل خطوة.. معجزة.. والغرور المضحك الذى جعلهم يتوهمون أسطورة «الجيش الذى لا يقهر» ويصدقونها، هى نفسها التى تسيطر على صناعة السينما الإسرائيلية. ذلك لأن السينما ليست نابعة بالطبع إلا من ظروف المجتمع الإسرائيلى نفسه الذى هو مجتمع معقد التراكيب منهار البنيان.

وليس مصادفة أن يكون مخرجهم يورى زوهار مبتكر الروائع قد بدأ حياته الفنية ممثلا فى إحدى الفرق الاستعراضية التابعة للجيش الإسرائيلى.. وحين استشاع أمره داخل صفوف الجيش بممارسته

الشذوذ الجنسي ثم رحل إلى أمريكا بحجة الدراسة هناك.. وعاد يقدم للإسرائيليين فيلم (الديك)، الذى يتحدث عن جندى احتياطى يترك جبهة القتال فجأة متوجهًا إلى بيته لكى يطلق زوجته التى لا يستقيم حاله معها.

كذلك نراه فى فيلمه «الإقلاع» يقدم نموذجًا آخر من الهبوط الفنى، وذلك فى ثلاثى منوعات مشهور فى إسرائيل باسم «ثلاثى حاجاش هاشيفير»، فى دور ثلاثة رجال يحاولون كسر روتين الحياة الزوجية المغلقة، وذلك بالبحث عن مغامرات عاطفية جديدة مع العاهرات.. وحين يفشل الثلاثة هؤلاء ويصطدمون بتفاهة المجتمع الإسرائيلى الهابط، يقررون العودة إلى زوجاتهم خائبين.. خاضعين.. كذلك فمن قائمة أفلامه الهابطة فيلم «المتلصصون»، والذى قام بدور البطوله فيه مع أريك أينشتين ومونا زلبرشتين.. وتدور قصته حول شاب يعيش حياة لاهية.. تركته صديقته لتعيش مع إنسان آخر تتبين بعد أنها لا تحبه فى حين يستعير صديقه شقته لمغامراته العاطفية.. ويدور صراع الاستقرار العاطفى بين الأطراف أبطال القصة.

واضح أنها موضوعات فى غاية التفاهة التى تدور حولها أفلام زوهار، ومع ذلك فإن الإعلام الإسرائيلى يشيد بكفاءته.. فمن حديث نشره مركز الاستعلامات السينمائية الإسرائيلى نقرأ أنه مخرج ممتاز يؤدى

دوره بإتقان. شخصية قوية.. يؤمن بالتمايز وتفوق العنصر اليهودى على كل عناصر الأجناس البشرية. إنه مواطن حقيق «للسابرا» الجيل الجديد الذى يحمل فكر الرواد الأوائل فى تفوق العنصر اليهودى.. ولعلنا ندرك أن هذه الهالة الكبيرة «حول مخرجهم ابن السابرا» إنما هى نزعة تهدف إلى استغلال أسطورة التفوق الإسرائيلى.. وهو تفوق مردود شكلا وموضوعًا. لأنه ينبع أساسًا من عقلية عنصرية مريضة.

والملاحظ أن أفلام يورى زوهار الأسطورة العنصرية، إنما هى أفلام تعتمد على الظل الأمريكى الذى يحميها من أقلام النقاد فى أول أسبوع للعرض. فيورى زوهار كثيرًا مايستخدم الخبرة الأمريكية والفرنسية فى أفلامه.. ذلك لأنه ليس هناك طابع إسرائيلى متميز فى صناعة السينما.. بل يعمد زوهار إلى توظيف الخبرة التى يستمدها من خارج إسرائيل.. ليمزج بها سخريته فى الفن الهابط..

إن يورى زوهار استغلته الدعاية العنصرية لتوظفه فى منطقه العدوانى، وهى فى اعتمادها عليه إنما تعتبره شخصيًا لا يحمل شخصية متميزة.. بل إنه يمكن تشكيله وفق المخطط العنصرى الذى تسلطه الدعاية ضد فكرة ما.. لا ترتضيها..

لم يكن يورى زوهار صاحب شكل متميز فى صناعة السينما الإسرائيلية، بل إنه إنسان متحول يعمد إلى الجنس فى إبراز سخرياته من عقول الإسرائيليين إلى الحد الذى أسقط أفلامه، ولم يستطع فى

مهرجان كان السينمائى الدولى أن يعرض أى فيلم له، ذلك لأن أفلامه ليست من الأفلام ذات العالمية المنهج.. بل تتسلط على عقلية الشباب الإسرائيلى المزهو بانتصار مؤقت بعد حرب يونيو ٦٧.

وفى ملفات السينما الإسرائيلية الكثير عن شخصية يورى زوهار.. وهو المخرج الذى لم يعد له وجود بعد حرب اكتوبر ٧٣.. وهذا العدم سيظل يفرض سحبه الكثيفة على شخصية ذلك المخرج وعلى صناعة السينما فى إسرائيل إلى الأبد.

صناعة السينما فى إسرائيل

تتركز صناعة السينما فى إسرائيل على رأس المال الصهيونى..
حيث يساهم رأس المال اليهودى بـ ٧٥٪ من تمويل هذه الصناعة..
والباقى من مساهمين إسرائيليين أو مساهمات من وزارتى التجارة
والصناعة.. وكلها لإيجاد صناعة سينمائية معقولة إلى حد ما.

وجدير بالملاحظة أن صناعة السينما الإسرائيلية، صناعة موجهة
من أجل الدعاية الصهيونية العنصرية.. فكل الأفلام التى أنتجتها
إسرائيل أفلام موجهة بأسلوب دعائى مبتذل.. إلى جانب جزء منها
يتناول الكوميديا الهابطة فى إطار مكرر هابط، بعضه مقتبس من أفلام
ومسرحيات فرنسية أو إيطالية أو أمريكية، وهكذا تسير صناعة السينما
فى إسرائيل معتمدة على الغير.

لكن كيف سارت صناعة السينما قبل وبعد حرب أكتوبر
٧٣..؟..

للإجابة عن ذلك تستوقفنا بعض الحقائق عن إمكانيات إسرائيل
السينمائية فإسرائيل يوجد بها خمسة استوديوهات للإنتاج السينمائى أهم

تلك الاستوديوهات الاستوديو الحكومى المركزى الموجود فى تل أبيب.. وكل هذه الاستوديوهات تنتج سنويًا ما بين ١٦٠ و ١٧٠ فيلمًا سينمائيًا ما بين روائى وتسجيلى دعائى.. حتى إنه فى الفترة ما بين ديسمبر ٧٣ إلى ديسمبر ٧٤ تم إنتاج ١٦٤ فيلمًا روائيًا وتسجيليًا كان من بينها فيلم «عربة اللذة الأخيرة».

وهناك من بين الشركات الإسرائيلية المنتجة للأفلام «مركز الفيلم التابع لوزارة الصناعة».. وهو الذى يهيمن على صناعة السينما الأساسية والتى ولدت فى عام ١٩٤٩ بأربعة أفلام فقط عن قيام إسرائيل فى أرض فلسطين.. وفى عام ١٩٦٠ قفز إنتاج الأفلام الإسرائيلية إلى مائة فيلم متنوع الاتجاه والهدف، وفى عام ٦٧ وصل الإنتاج الإسرائيلى من الأفلام إلى ١٤٠ فيلمًا ما بين تسجيلى وروائى، تتقارب موضوعاتها وتتداخل إلى حد كبير.

هذا ويجمع المشتغلين بصناعة السينما الإسرائيلية من فنانين وفنيين وكتاب «اتحاد الفنانين الإسرائيليين» وهو بمثابة مكتب سياسى يخضع كلية لسلطة المؤسسة العسكرية الحاكمة، ويضم وفقًا لآخر إحصاء له ١٠٠٠ فنان متنوع الاتجاه والتخصص.

ويمكن القول بأن ٧٥٪ من إنتاج إسرائيل السينمائى، إنما يعتمد على رءوس الأموال الصهيونية خارج إسرائيل كذلك معظم المخرجين والنجوم يأتون من الغرب إلى جانب الكتاب والمشتغلين بصناعة السينما فى إسرائيل.

على أن من الشخصيات المشهورة التى ساهمت فى صناعة السينما الإسرائيلية من الوجوه العالمية المشهوزة نذكر «أتوبرمنجر»، و «جين كيلى»، وبوب فوس»، و «جول داسان»، و «نورمان جوسون»، و «روبرت وايز»، «وديفيدلين» و «وجوردون دوجلاس»، و «وسيسل دى ميل»، و«جون هوستون»، كذلك هناك من النجوم التى لعبت أدوارًا على الشاشة الإسرائيلية أمثال: «كيرك دوجلاس» روبرت فاجنر»، وجريجورى بيك، و «نساتالى وود»، و «جوان وودورد» وأيضا مارسياسانت، «وبربار ستريساند»، «وبيريت أوكلاند»، وسامى ديفيز»، «وتونى كيرتس»، و«ليزا مانيللى»، و «ديبى رينولدز» وغيرهم من وجوه الشاشة العالميين.

وفى إطار المساهمات الصهيونية للسينما الإسرائيلية ودعمها.. فإننا نجد أن عديدًا من الشركات العالمية للسينما تنتشل صناعة السينما فى إسرائيل.. وهذه الشركات الصهيونية هى «متروجولدن ماير»، التى أسسها الصهيونى «شموئيل جولدين» اليهودى المعروف.. والذى أنشأ شركة «يونيتد أرتست»، ولقد هاجر من وارسو إلى الولايات المتحدة ليروج تلك الصناعة، وإلى جانب ذلك فإن له أياد كبيرة فى مساعدة إسرائيل قبل وبعد قيامها.

وهناك أيضًا «لويس ماير» الذى ظل مديرًا لمتروجولدين ماير ومروجًا لها لسنوات طويلة حتى إن إسرائيل اعتمدت عليه كثيرًا فى صناعة السينما لديها. أما «ويليام فوكس»، صاحب شركة «فوكس

للقرن العشرين »، فهو صهيونى من المجر. . ولد فى مدينة « تسولكفا » وهاجر إلى الولايات المتحدة. . كذلك هناك « كارل لامل » الذى أسس شركة « بونيفرسال »، وصاحب أوسع الاستوديوهات السينمائية فى العالم، إنه يهودى متعصب ولد فى مدينة « لوفيم » بألمانيا. . أيضًا هناك « الإخوة وارنر »، وهم يهود من وارسو. . وأودولف زوكور « صاحب شركة برامونت وهو الذى أسهم فى إنشاء مدينة « هوليود السينمائيه العالمية ».

وبدراسة متأنية، فإننا نلحظ أنه يدخل إسرائيل سنويًا ٢٥٠ فيلمًا معظمها من إنتاج هوليود وتشجيعًا للسينما الصهيونية. ومعظم هذه الأفلام تشير إلى أبعاد عنصرية فى التكوين الذاتى لليهود. . علاوة على الأفلام التى تتحدث عن السامية وتنال من شخص الأنبياء مثل شخص السيد المسيح إذ عرضت عدة أفلام تغمز حياته المقدسة. وعلى راس هذه الأفلام فيلم « المسيح النجم الأعظم ».

وبإحصائية لعدد دور السينما فى إسرائيل نجد أن هناك ٣٦٠ دارًا تنتشر فى أنحائها. . وتضم الضفة الغربية ٢١ دارًا للسينما منها سينما اليرموك. والقدس. والنزهة والشونة، وهى تعرض أفلامًا عربية. . على أنه توجد فى الضفة الغربية شركة يمتلكها ممدوح فريخ، يطلق عليها اسم « شركة مصايف وملاهى رام الله ».

أما عدد دور السينما فى تل أبيب فيبلغ ٩٥ دارًا وهى نسبة عالية بالنسبة لعدد السكان القلائل.

والسينما فى إسرائيل درجات حسب دور العرض.. وحسب موقع الحى، فالأحياء الراقيه توجد فيها دور السينما الأولى والتى تعرض الأفلام الأمريكية ذات النمط العالمى.. أما فى الأحياء الشعبية فتعرض أفلام الكوميديا الإسرائيلية التى يستمر عرضها شهورًا.. وإلى جانب ذلك توجد دور للسينما المبسطة فى المستعمرات التى تجمع تكتلا سكانيًا كثيفًا.. وغالبية هذه الدور تعرض أفلامًا دعائية عن استقرار الحياة فى إسرائيل.. إلى جانب أفلام الحرب التى تشيد بالجندى الإسرائيلى. ودور الشخصية اليهودية فى بناء إسرائيل وبدورها فى حضارة العالم.

إن صناعة السينما فى إسرائيل تسير فى فجوات متناقضة.. ذلك لأنها صناعة لم تقم على أسس سليمة.. وأتت فى شكل غير لائق لا يتفق مع ظروف إسرائيل وطبيعة وجودها وتكوينها الاجتماعى .. لكن هل ستستمر صناعة السينما فى إسرائيل متخطية تلك العقبات المالية والفنية، سؤال مطروح للسينمائيين فى إسرائيل..

الشخصية اليهودية فى السينما الإسرائيلية

ستظل الشخصية اليهودية تبحث عن ذاتها طويلا.. ذلك لأن اليهود يشعرون بفقدان الذات إلى الأبد.. وهو شعور يؤرقهم فى حياة الدياسبورا التى يعيشونها فى إطار الشتات والضياع والسرمدية اللانهائية المغلفة بالعدم.

وتجسدت مشكلة العزلة والضياع لدى اليهود فى أفلامهم السينمائية..

وعكفت السينما الإسرائيلية فى ظل الحياة القائمة تبحث وتجد للعثور على الذات اليهودية الضائعة.. حتى خرجت عدة أفلام، لا نقول إنها سطحية، لكنا نقول إنها تتحدث عن حقيقة الذات اليهودية الضائعة فى هذا العالم الواسع.. عالم الأمم والشعوب.

فاليهودى يشعر بمرارة الغربة فى هذا العالم.. ذلك لأنه يحس بأن كيانه مهدد.. وأن وجوده مرفوض.. وظلت مشكلة البحث عن الذات تراود عقول المفكرين والفنيين من اليهود والإسرائيليين باعتبار أن إسرائيل هى تجسيد حى للكيان اليهودى العالمى.. هكذا

يزعمون.. لكن ما هى الأفلام التى تتوخى البحث عن الذات اليهودية المفقودة؟ وما هو أسلوبها فى طريقة انتشال الذات من السرمدية العدمية؟..

تقول مجلة «فيلم نيوزليتر» الأمريكية.. إن الفرد الضائع فى حياة اليهود له مشكلة جسدتها صناعة السينما فى إسرائيل على أنها قضية ملحة...

ومن الأفلام الإسرائيلية التى تجسد منظور العزلة والضياع للشخصية الإسرائيلية فيلم اسمه «ولكن أين دانيال فاكس؟»، انتجته إسرائيل عام ١٩٧٢ من إخراج أفرام هيفنر، وتمثيل ليورييى واسترزيفكو.. وتدور قصته حول مغن ناجح فى الأغانى الشعبية الإسرائيلية.. ينتقل إلى الولايات المتحدة ليجد فرصته فى الغناء الشعبي هناك.. لكنه مرتبط بأصدقاء الفصل الدراسى الواحد المقيمين فى إسرائيل فهو يأتى للقائهم فى اجتماع متفق عليه معهم. لكنه يصطدم بالواقع المر.. لم يجد زعيم الجماعة وهو دانيال فاكس، فيبحث عنه المغنى طويلا فلا يجده.. ويتملكه اليأس.. ويجلس لحظات فى حساب طويل مع النفس. فيكتشف حقيقة أن ذاته مفقودة.. إن فقدان دانيال فاكس فقدان للجماعة التى كانت شبه مترابطة تمامًا.. لكن بفقده بدت الحقائق كاملة، وهى فقدان الذات اليهودية فى هذا العالم.. لذلك رأيناه يجد فى البحث عن دانيال الذى هو تجسيد للذات اليهودية المفقودة فى هذا العالم الواسع. العالم

الذى يبتلع الأقليات اليهودية.. ويظل البحث جاريا عن دانيال.. لكن دون جدوى والفيلم.. قصه بسيطة لكنه يشير إلى قضية الدياسبورا القائمة فى الحياة اليهودية عمومًا.. ولقد نجح الممثلون فى أداء أدوارهم. كما نجح المخرج فى تحريك الشخصيات لكى تعبر عن الإنسان اليهودى الضائع.

كذلك يقودنا فقدان الذات اليهودية إلى الوقوف عند فيلم إسرائيلى آخر، وقد عرض فى مهرجان «كان» السينمائى الدولى عام ١٩٧٢. وهو فيلم «المنزل فى شارع شيلوش»، سيناريو وإخراج موشيه مزراحى،. إنتاج «مناحيم جولان». بطولة «جيلا الماجور، وشال أفير، وجوزيف شيلواه.. وهذا الفيلم يقدم مأساة الذات اليهودية القلقة على مصيرها.. إذ تدور أحداثه حول العلاقات الجنسية، وهروب الذات من الواقع اليهودى المر.. تدور الأحداث فى عام ١٩٤٦ إبان كفاح الفلسطينيين ضد اليهود الذين تكاثروا فى فلسطين آنذاك.

ويحكى عن أم يهودية كانت تعيش فى مدينة الإسكندرية.. ترك لها زوجها أولادًا دون عون مادى يقيم بحياتهم.. لكنها وجدت فرصتها فى العمل بتلك المدينة.. ووجدت الحياة الهانئة.. ولظروف ما تترك الإسكندرية إلى فلسطين لتعمل شغالة لدى أحد اليهود، من هنا تشعر بقسوة الحياة ومرارتها عليها.. فعملت.. وفقدت أنوثتها

وحيويتها وأحست بأنها مجرد آلة صماء تعمل لتعيش فقط دون حياء أو حياة تحس بها. . أما ابنها الأكبر فاضطر أمام قسوة الحياة للعمل فى ورشة فى المساء بعد خروجه من المدرسة. . وكان يحس بأن هناك شخصاً غريبًا دخل حياتهم. . هو ذلك الرجل الذى فرض نفسه على الأم. . وأغرقها فى الديون، مما جعله يمارس الجنس معها. . شعر الشاب بأن تلك الحياة لا تطاق بهذه الصورة فتباعد عن المنزل لكيلا يرى المأساة مجسدة أمام عينيه. . وأنقذته موظفة شابة منفصلة عن زوجها تعمل فى مكتبة مجاورة، مارس معها الجنس أيضًا، لكى يحقق ذاته ويشعر بوجوده بعيدًا عن كل المنغصات التى ضربت حوله.

انتشلته الممثلة ميشيل بات آدم. . من غفوة الضياع إلى الوجود عن طريق الجنس وعلى الرغم من أن هذا الدور لميشيل بات دخيل على القصة فإنه يقدم لنا مثالا حيًا وصادقًا لانتشال الذات المفقودة فى متاهات السرمدية المتردية إلى أعماق العدم اللانهائى.

وأخيرًا فإنها ترفض الشاب المراهق كزوج لأنه لم يحقق ذاته كرجل. . بل هو مجرد آله مسلية فقط. . عند ذلك يعود الشاب إلى البحث عن الذات المفقودة. . وفى النهاية نرى الأم تتزوج مؤخرًا من العاشق، ويوافق الشاب على زواج أمه، لأن الحياة ومتطلباتها تقتضى ذلك. . ويهرب الشاب إلى فلول الهاجاناه محاربًا مع المحاربين اليهود، الذين سيحققون قيام إسرائيل. . إن هذا الهروب هروب من الضياع

النفسي، وكان كل أفراد الجيش من هذا الطراز السلبي المعدوم الشخصية.. ويترك الفيلم ذكرى للأسرة التي تركت حياة الترف في الإسكندرية لتتجه إلى أرض فلسطين.. والتي فقدت فيها طعم الحياة.. وذبلت الذات في سرمدية العدم إلى الأبد..

ولقد بدت ظاهرة فنية في صناعة السينما في إسرائيل ألا وهي أن يتسمى المخرج أو الممثل باسم بلد عربي إشارة إلى أن هذا البلد يهودي.. فمثلا مناحيم جولان المخرج الإسرائيلي المعروف، الذي دخل الفن السينمائي منذ عام ١٩٦٥ كاتبًا ومخرجًا ومنتجًا لكثير من الأفلام تسمى بجولان، إشارة إلى المرتفعات السورية المعروفة، وهو إيهام بأن هذه الأرض السورية إنما هي أرض إسرائيلية.

تلك إشارة عابرة في إطار هذه القضية المثارة.

ويسوقنا الحديث عن ضياع الذات اليهودية إلى الدخول في قضايا أخرى من هذه الأفلام التي طرقنا الحديث عنها.

هناك فيلم إسرائيلي من إخراج «مناحيم جولان» يحمل اسم «العاهرات أيضًا»، يصور فتاة ليل إسرائيلية تبحث عن الذات الضائعة في مهب الرياح الساخنة في الحياة الإسرائيلية المعقدة.. حياة الضياع الذي.. هذه الفتاة تعيش حياة قلقة.. إنها تريد أن تحمل سفاحًا من أي إنسان يصادفها لكي تنجب ولدًا.. والقضية هنا ليست قضية الجنس.. بل قضية البحث عن الذات بأي ثمن لكن

البحث يمضى سدى.. وبلا أمل.. ويبقى الضياع.. وتقوم ببطولة القصة «جيلا الماجور».

أما فى فيلمه «صلاح»، فإن فقدان الذات استمر طويلا.. ومجسدًا فى شخص صلاح اليهودى اليمنى الذى أتى إلى إسرائيل وظل إنسانًا كسولا لايحب العمل.. فتضيع منه الفرص الكثيرة لأنه إنسان لا يحب تأكيد ذاته اليهودية لما له من طابع شرقى عربى كسول.

كذلك فيلم «الهروب إلى الشمس»، الذى ألفه وأخرجه مصورًا حالة ثمانية من اليهود السوفيت قرروا الإقلاع بطائرة إلى إسرائيل، هروبًا من قسوة الحياة اليهودية داخل الاتحاد السوفيتى ومبا يلاقيه اليهود هناك من حياة مغلقة.. وهذا الفيلم يحاول استدرار عطف المشاهد فى أوربا وأمريكا على اليهود وعلى حياتهم الضائعة وسط موجات بشرية هائلة ترفض منحهم حق الحياة بمفهومها الواسع.. وفى هذا الإطار تبرز لنا مشكلة فتاة يهودية تندفع إلى تحقيق الذات عن طريق الأمل.. الأمل فى أن تحقق أحلامها بالزواج من شاب تحبه.. لكن والدها يرغب فى أن يزوجها من عجوز يملك ثروة.. والفتاة لاتعترف بالثروة، وأن الحب تأكيد للذات وليست الثروة.. لذلك تقرر الهرب فى النهاية مع حبيبها.. وهو هروب من الضياع إلى الحد الذى يحقق الشخصية والكيان لفتاة يهودية تريد أن تعيش كما يعيش الناس، بعيدًا من الأنصهار الذاتى داخل مجتمع مغلق تحكمه قيود

المادة والرذيلة.. الفيلم هو «ابنة البحر الميت».

ولاينسى السينمائى الإسرائيلى أن يربط أبطاله بالأرض.. أرض الميعاد كما يتصورون، لأن تأكيد الذات وتحقيقها لا يتحقق إلا بالأرض.. لكن الأرض هنا ترفضهم إلى الأبد.. لذلك لم يشعروا بأنهم مستقرون عليها.. إنها كما قال «ناحوم جولدمان» رئيس المؤتمر اليهودى العالمى بعد حرب أكتوبر ٧٣، أرض باتت ترفض الكيان اليهودى منذ أن وطئت أقدام اليهود ترابها:

بقى أن نتساءل.. هل ستظل الشخصية اليهودية تائهة فى مهيع الحياة الواسع؟.. كيف؟ وإلى متى؟.. سؤال يبات قلقًا فى قلوب الإسرائيليين واليهود جميعًا.

اليهودى التائه وضياع الذات

ظل لفظ اليهودى التائه علامة بارزة على تشتت اليهود فى كل مكان.. وهى عقدة تظل قلقة بين جلود اليهود فى كل زمان ومكان.

وقد يكون فيلم « اليهودى التائه » الذى أخرجه « فريتز هيلر » عن فكرة للدكتور « إيراهارد توبرت » أبغض فيلم. وهو فيلم ثقافى فى المفهوم الألمانى.. إنه فيلم تسجيلى وروائى طويل عن مشاكل اليهودية العالمية وعن وضعهم فى العالم. وقد عرض أولا بدار سينما « بالاست أم تسو » التابعة لشركة « أوفا »، أى سينما بالاس بجانب حديقة الحيوان ببرلين فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٤٠، وشاهده الكثيرون من العلماء والفنانين وأعضاء الحزب النازى.

وطبقًا لما نشرته صحيفة « دويتش الجماينة تسايتونج »، فإن الفيلم موجه إلى عقدة اليهود المزمنة.. وإنه لابد وأن يكون لها حل.. بعيدًا عن ألمانيا وأوروبا.

ويظل اليهودى التائه ليس له كيان معروف حتى اليوم.. ولذلك فإن

من المفيد تقديم بيان واضح عنه وهو ليس لامعًا وإن كان مبهمًا مثل فيلم «انتصار الإرادة»، وهو غير مناسب بالمرة لأذواق الجمهور.. وحتى مكتبات الأفلام التى لديها نسخ منه، حذرت من عرضه للناس.. ويعرض فيلم «اليهودى التائه»، فى أجزائه مدى الانحطاط الذى لحق باليهود فى كل زمان ومكان.

ويبدو الفيلم فى شعاره المقلق بمعاونة الصورة الموسيقية وليس من المقصود أن يشاهد الجمهور الفيلم ويكوّن عنه رأيًا.. بل إن عليه أن يبتلع الجرعة كلها..

ويبدأ الفيلم ببيان أن اليهودى المتحضر الذى نعرفه فى ألمانيا يعطينا فكرة مزيفة عن الشخصية اليهودية ويستمر قائلا: «وسنرى هنا حقيقتهم دون قناع». «الحقيقة هى بولندا»، ويتحدث «هيلر» عن اليهودى الأفضل «الألمانى» واليهودى الأسوأ «البولندى»، ويضيف فى سرعة أن كلا منهما يمثل الشكل الأدنى المنحط للإنسانية.. ثم يقارن اليهود بمضيفيهم البولنديين الذين قدمهم من قبل ضعافًا وغشاشين فى فيلم هو «غزو بولندا» عام ١٩٣٩.

ويؤكد التعليق أن البولنديين أحسوا بالهزيمة أكثر من اليهود الذين مكثوا «بالجيتو الهادئ» واستأنفوا معاملتهم بعد ساعة واحدة من إنتهاء القتال. ونرى الوجوه اليهودية من الرجال وهم بلحى ضخمة وعيون حزينة فى لقطات واقعية بجيتو لوتز لمصورين من الألمان.

ويقول المعلق إننا نرى كل هذا.. لكن عيوننا تنظر الآن بشكل أوضح.

وفى الماضى كان ينظر لليهود على أنهم شخصيات هزلية مضحكة. لكنهم فى الحقيقة يصورون الخطر والتهديد للإنسانية.

وحين تدخل الكاميرا منازل اليهود، تصبح رسالتها «حياتهم الخاصة التى تفتقد الوقار»، وهناك لقطة مكبرة لذباب يبدو على الحائط.. كتلة سوداء زاحفة. ويصف المعلق افتقارهم للنظافة العامة فهم قادرون ماليًا علي توفير النظافة والأناقة فى منازلهم. لكن اليهود يريدون ذلك لحياتهم.. وصورة الذباب معبرة عن حياتهم القذرة.. لكن هذه اللقطة تقودنا إلى الأمام لتربط بين اليهود والحشرات.. والناس الذين تمسكوا بمبادئ الصحة العامة يكونون أحكامهم الخاصة حين بدأ النازى محاولة حل المسألة اليهودية بعد ذلك بشهور قليلة مستخدمين مادة «زيكلون ب» وهى أصلا مبيد حشرى. وهذه صورة من العقل الباطن.. لكن هيلر يدع الأحكام معلقة.

على أن فيلم «اليهودى التائه» يصور حياة اليهود فى الشارع العام، ونجد اليهود يتناقشون فى صمت.. فى همهمة.. فهم قليلو العمل، وإذا عملوا فإنهم يعملون مكرهين، ذلك لتسلط نزعة اليأس فى نفوسهم ولإحساسهم بالغربة.. ولأنهم يعيشون حياة بدائية مقهورة.. يعمدون إلى شراء الملابس المستعملة من أجل عيشة

الكفاف.. ويتاجرون فى كل شىء قديم حتى الأسمال البالية.. وهناك سيدة فى ملابس ممزقة تبيع دجاجات هزيلة.. مغشوشة.

والأطفال يبدون كسالى. لايهتمون بالمظهر، لقد ولدوا وولد معهم اليأس والمرارة التى لمسوها فى آبائهم.. على أن المحاضر الذى يبدو فى الفيلم يؤكد ذلك للمشاهد حيث يقول: «إن الجنس الآرى يحاول الإبداع فى صمت..»

ثم تتجه الكاميرا إلى تاجر يهودى يعرض بضاعته من حديد الخردة.. وترينا الكاميرا كيف يتسلل اليهود إلى الأعمال الحقيرة من أجل الحصول على المال.. إنهم يتاجرون فيما لم يعرفه أحد.. أو يلق إليه الألمان بالا.

ويدور الهمس بين اليهود بأنهم كلما حصلوا على المال رحلوا إلى بلد آخر إنهم طفيليون حقًا.

ويرمز الفيلم إلى الفأر البنى باليهودى.. فالفأر البنى آسيوى الأصل كما يقولون.. وتبدو خريطة مكبرة لجماعة من الفئران ثم نسمع تعليقًا عليها يقول: إنها تنقل أخطر الأمراض للإنسانية.. ثم تعليق آخر: إنها جبانة تلك الفئران تنتقل فى جماعات لأن وجودها منفردة معدوم.. ثم تنتقل الكاميرا إلى حياة اليهود فى جيتو «لودز».

ثم ينتقل الفيلم ليرينا مجرمى اليهود فى لحى غير محلوقة ونظرات محمومة، تدل على الحقد والكراهية لدى اليهود.. ثم تنتقل الكاميرا

إلى بورصة نيويورك حيث يبدو رجال المال من اليهود مسيطرين على كل شيء.

ثم تبرز الكاميرا معبدًا يونانيًا فيه تماثيل كلاسيكية.. ومولد «فينوس ليوتشيللى»، ثم نسمع لحنًا لباخ، إشارة إلى أن هذا من عمل اليهود، لكن اليهود بطبعهم يرفضون الفن الهادئ فيعمدون إلى موسيقى الجاز الصارخة المقلقة ويعللون ذلك بأنه يوقظهم من سباتهم ومن سكرة الموت التى تسيطر عليهم.. ثم تنتهى الكاميرا إلى صورة للسيد المسيح عليه السلام وهو طفل يبتسم داخل نجمة تبزغ منها امرأة شابة، وهناك تعليق يقول.. لا.. لا تصدقوا اليهود فى هذا، فاليهود يفسدون الفن والثقافة.

والملاحظ فى فيلم اليهودى التائه أن اليهودى بغريزته يهتم بكل ما هو «عليل»، وقد حاولت سينما ١٩٧٣ الخبيثة اكتساب العطف نحو المجرمين، بتحويل عبء آثامهم على المجتمع.. فاليهود يفسدون العدالة أيضًا، لا الفن فقط. إنهم يحقدون على كل شيء لا تمتد إليه يدهم - إنهم يقتلون الأطفال من غير اليهود حتى لا يتكاثر غير اليهود فى هذا العالم.

ثم إن الحاخامات فى صلواتهم لا يتسمون بالقداسة فى هذا الفيلم. فهم يتمايلون ويتحدثون عن المال والتجارة وأمور الحياة.

ثم يصور لنا الفيلم جرائم اليهود ضد عالم الحيوانات .. هناك

بقرة تنزف دمًا بفعل سكين، ويظل الدم ينزف منها فى هدوء وهى مستسلمة للموت البطىء.. والجزار يغفل وكأن شيئًا لم يكن.. الذبح هنا فيه تعذيب للبقرة.. كذلك لكل الحيوانات.. حيث تقطع الرأس فجأة وتفصل عن الجسد.. وفى هذا تبدو شعارات النازى ضد عملية الذبح حيث يرينا الفيلم.. النازية برغم قسوتها فإنها تحتج على مثل هذا الذبح.. وطريقته.. ثم يبدو هتلر ليقول فى الرايخستاج فى ٣٠ يناير ١٩٣٩ : إنه إذا دفع اليهود العالم إلى الحرب، فإنها لن تكون نهاية العالم وحده... بل نهاية اليهود.. هكذا يبدو فيلم « اليهودى التائه »، وهو مثل لحياة اليهود فى ألمانيا. كما أنه إشارة إلى وضع اليهودى فى السينما من وجهة النظر اليهودية ومن وجهة نظر الألمان.

ويقول النقاد عنه : إنه فيلم للعارفين ببواطن أمور اليهود. وهو يبدأ بالموعظة الخالدة وهى : « أن اليهود طبقة وضيعة.. وستظل ».

وكان جوبلز وزير الدعاية فى حكومة النازى يقظًا بالنسبة للدعاية العكسية فأفلام الأجناس مثل « آل روتشيلد »، وفيلم « فايت هارلان » الشهير « سكر اليهود » وكلاهما لعام ١٩٤٠ لم يعملا بعد السنوات الأولى.. وكانت الإشارات إلى عداء النظام للسامية تحذف من نسخ الأفلام الألمانية المعدة للعرض الخارجى.. وطبقًا لما قاله « كراكاو »، فقد حدث هذا فى النسخة الأمريكية « تعميد النار »، وفيلم « الانتصار

فى الغرب »، ولابد أنه كان هناك ما يشير إلى التخوف من أن تستدر رؤيتها العطف بدلا من الاستياء.

وقد تثير الأهداف الأساسية لفيلم « اليهودى التائه »، شعورًا مختلطًا لدى بعض الألمان.. لكن أغلبهم لم يختلط عليهم الأمر فى هذه القضية - فهؤلاء اليهود لم يكونوا لا من الألمان ولا حتى من الطبقة المتوسطة.. وكانوا بعيدين كل البعد عن مشاهدى السينما الألمان آنذاك، وبدوا أحط مما يمكن التعرف عليهم أو اعتبارهم فى عداد الإنسانية.

وقد عرض الفيلم بالبلاد المحتلة من الألمان.. وعنوانه بالفرنسية « الخطر اليهودى »، سبق استخدامه قبل الحرب على غلاف وثيقة قديمة ضد السامية.. وهذا تزوير خطير يحمل اسم « بروتوكولات حكماء صهيون »، وصور فى هولاندا.. وكتبت مجلة رسالة السينما الألمانية قائلة « فى جولة بجيتو ليتزماتشتاوت » قبل تدخل السلطات الألمانية لإعادة بعض النظام وغسيل حظائر أوجياس، وقدمت صورة واضحة للمستنقعات القذرة التى يتسرب اليهود منها للعالم. ويستحق مخرج الفيلم بعض التعليق.. فريتز هيلر المسئول عن صناعة السينما فى حكم النازى.. وهو الشخصية الثانية بعد جويلز وزير الدعاية آنذاك.. وفى فيلمه « سكر اليهودى »، يوضح كيف عاش اليهود فى ألمانيا فى حالات قاسية.. حياة قذرة.. ويحتقرهم الألمان إلى حد

كبير.. وتبدو فيه شخصية اليهودى ضائعة تمامًا.. منبوذين من الألمان.

وعلى كل فإن مشكلة اليهودى التائه من المشاكل التى جسدها الألمان ضد اليهود.. حيث نفوا عنهم ما تشدقوا به من ثقافة وحضارة.. وعمدت الصهيونية إلى استغلال منطوق هذا الفيلم باعتبارها موجهة ضد السامية وعلى الأخص اليهود، كذلك فيلم «سكر اليهودى»، لنفس المخرج.. هيلر.. فمتى تنحل عقدة اليهودى التائه..؟.. وإلى متى سيظل غضب الإنسانية موجهًا ضده أينما كان..؟

السينما الإسرائيلية صناعة وتجارة

قفزت السينما الإسرائيلية فى السنوات التى تلت حرب يونيو ٦٧، إلى أرقام خيالية فى عدد الأفلام الروائية أو التسجيلية.. وكلها أفلام تخدم الكيان الصهيونى وتدعمه وإن تعددت اتجاهاتها، وتكررت موضوعاتها، التى تصب فى قالب واحد هو خدمة الأهداف الصهيونية.

والملاحظ أن السينما الإسرائيلية قد ولدت منذ عام ١٩٤٩ بأول إنتاج لها وهو فيلم «التل ٢٤ لا يرد»، وهذا الفيلم يتحدث عن قيام إسرائيل فى أرض فلسطين وهو عمل مشروع فى نظر الصهيونية التى قامت بإنتاج هذا الفيلم.

بعد هذا خطت السينما الإسرائيلية خطوات بطيئة من حيث الإمكانات الفنية المتاحة لها، والاعداد لذلك، لأن كل أعمال الصهيونية تركزت فى صناعة السينما الأمريكية الواسعة الانتشار التى تدر ربحًا كبيرًا لاعتمادها على السوق العالمية الرائجة.

* * *

لكن إذا نظرنا إلى صناعة السينما فى إسرائيل فإننا نتوقف عند عدة حقائق هامة تجدر الإشارة إليها.. فإسرائيل تمتلك اليوم خمسة استوديوهات، أهمها الاستوديو المركزى بتل أبيب. وهذه الاستديوهات الخمسة تنتج سنويًا ما لا يقل عن ١٧٠ فيلمًا روائيًا وتسجيليًا.

والملاحظ أنه فى الفترة من شهر ديسمبر عام ١٩٧٣ حتى ديسمبر ٧٤ أنتجت استوديوهات إسرائيل مجتمعة ١٧٠ فيلمًا مختلفة الاتجاه والهدف، وكان من بينها فيلم «عربة الهجرة الأخيرة»، و «ياكوف يحب ابنة النبى عزرا»، وفيلم «العشق فى السهول الموحشة»، و «جريمة فى حيفا»، و «شتاء ٧٣»، و «الحائط»، وهذه الأفلام تخدم أغراضًا معينة بأسلوب متكلف ساذج بعيد عن الواقع المتعارف عليه لدى إنسان هذا العصر

كذلك فإنه تجدر الإشارة بالمركز السينمائى التابع لوزارة الصناعة وهو «مركز الفيلم الإسرائيلى»، وهو المهيمن على صناعة السينما فى إسرائيل.

أما فيما يتعلق بالمشتغلين بصناعة السينما من فنانين وفنيين وكتّاب، فيجمعهم ما يسمى بـ «اتحاد الفنانين الإسرائيليين»، وهو يعتبر مكتبًا سياسيًا يخضع لتوجيهات المؤسسة العسكرية الحاكمة، ويضم طبقًا لآخر إحصاء له ٩٨٠ عضوًا من مختلف المشتغلين بهذه المهنة.

رأس المال الصهيونى فى السينما

إن ما يقرب من ٧٥٪ من الأفلام الإسرائيلية تعتمد كلها على الموارد المالية والفنية خارج إسرائيل.. ذلك لأن إسرائيل لا يمكنها أن تنتج فيلمًا جيدًا له صفة الاستمرار.. ولن تتمكن من تمويل الفيلم العالمى.. أو حتى الفيلم الذى يجعلها آخذة فى سبيل التطور السينمائى.

وهذا التمويل الخارجى يوظف كبار المخرجين العالميين والنجوم ذوى الشهرة الواسعة، ويسخرهم فى إيصال وجهة نظر إسرائيل إلى أكبر عدد ممكن من الرأى العام فى أى مكان.. وعلى سبيل المثال نذكر من المخرجين «أوتو برمنجر»، و «جول داسان»، و «نورمان»، و «جوسون»، و «روبرت وايز»، ومن قبل كان المخرج العالمى ذائع الصيت «سيسيل ب. دميل».

أما الممثلون فنذكر منهم «جريجورى بيك»، و «روبرت فاجنر»، و «ناتالى وود»، و «بربارا ستر ساند»، و «تونى كيرتس»، وغيرهم من الوجوه اللامعة عالميًا.

إن ارتباط رأس المال الصهيونى بالسينما الإسرائيلية ارتباط وثيق.. ومن المعروف أن «شموئيل جولدين» الذى أسس شركة «مترو

جولدين ماير » و « بونايتد أرتست »، قد هاجر من وارسو عاصمة بولندا إلى الولايات المتحدة، وظل دائمًا يساعد يهود إسرائيل بالمال والأفكار التى تخدم أغراضها العدوانية ضد العرب.

أما « لويس ماير » الذى ظل يعمل مديرًا لشركة » مترو جولدين ماير » طوال ثلاثين عامًا، فإنه يهودى صهيونى متحمس للسينما الإسرائيلية كذلك « وليام فوكس »، مؤسس « شركة فوكس للقرن العشرين » المجرى الجنسية، ظل يخدم الأهداف الصهيونية عن طريق تدعيم السينما فى إسرائيل بكل الوسائل. . هذا بجانب « كارل لامل »، مؤسس « شركة نيو فرسال »، وهو يهودى يملك أكبر استوديوهات السينما فى الولايات المتحدة. . ظل يمول صناعة السينما فى إسرائيل ويمدها بالخبرات الفنية.

أيضًا نذكر هنا الإخوة وارنر »، مؤسسها يهودى نشأ فى مدينة وارسو البولندية. . وأدولف زوكور « صاحب » شركة برامونت »، وهو الذى أسهم إلى حد كبير فى إنشاء مدينة السينما الأولى فى العالم « هوليوود ».

وإلى جانب إنتاج إسرائيل السينمائى من الأفلام المختلفة يدخلها ما بين ٢٥٠ إلى ٢٨٠ فيلمًا سنويًا، غالبيتها العظمى من إنتاج هوليوود، وكلها تخدم الأغراض الصهيونية وأهدافها فى تشكيل عقول الرأى العام العالمى وفق ما تريد وتشتهى نذكر من ذلك فيلم

« المسيح .. نجم فوق العادة »، وهو الذى يهدف إلى تبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام، مشيرًا إلى هذه القضية إلى أن يهوذا الإسخربوطى قد سبق إلى فعلته الشنعاء بقوى غير منظورة لاقبل له بمقاومتها إطلاقًا.

والسؤال هو؟

إلى أين تتجه السينما الإسرائيلية؟

إن عدد دور السينما التى توجد فى إسرائيل كثيرة ومنتشرة.. وكلها لهدف إعلامى يشكل الرأى العام الإسرائيلى لترسيخ فكرة معينة أملتها الإرادة الصهيونية.. وقد بلغ عدد دور السينما فى أنحاء إسرائيل حتى عام ١٩٧٦ ما يقرب من ٣٦٥ دارًا.. ففى تل أبيب وحدها ١٠٠ دار وهى نسبة عالية بالنسبة لعدد سكان إسرائيل الذين لا يتجاوزون ثلاثة ملايين ونصف.

والجدير بالذكر أن السينما الإسرائيلية أصبحت تواجه فتورًا من جانب المشاهد الذى أصبح يأنف إلى حد كبير من أسلوب الأفلام وتناولها لمواد مكررة ليس فيها تجديد.. ذلك لأن السينما.. أى سينما فى العالم تهدف دائمًا إلى التجديد والابتكار، وإبراز الأمجاد التاريخية والبطولات، لشخصيات ذات أثر فعال فى حياة شعب ما.. إن السينما فن للحياة.. لكنها فى نظر المشاهد الإسرائيلى تزييف للواقع وتجسيد لأمور لا وجود لها، فهى متناقضة مع نفسها.. حتى نلحظ

أفلام التسلية وقد بدت ممجوجة غير قابلة للتشوق.. من هذه الأفلام ما يشيد بالجريمة مثل فيلم «سرقة التليفون الكبرى»، أنه فيلم تافه المغزى والموضوع مثل فيلم «الديك»، للمخرج الإسرائيلى «يورى زوهار».

وتنحصر أغراض السينما الإسرائيلية فى اتجاهات يمكن إبرازها فيما يلى:

أولا: أن الصهيونية تحاول التسلط على المشاهد الإسرائيلى أيًا كان، لتحصره فى قوقعتها المظلمة ليعيش واقعها المغلق.

ثانيًا: أن الصهيونية تدعى فى أفلامها أن الثقافة الغربية مدينة لليهود الذين لهم دور طليعى فى حضارة الإنسان منذ مئات السنين.

ثالثًا: أن الأفلام الصهيونية تحاول أن تصور إسرائيل على أنها «أمريكا الجديدة» من حيث التقدم والتطور الحضارى فى منطقة الشرق الأوسط، وأن إسرائيل قامت بنضال اليهود وبتوجيه من الصهيونية العالمية.

صناعة السينما.. بعد أكتوبر

وبعد حرب أكتوبر ٧٣.. تغيرت الأوضاع كلية بالنسبة لصناعة السينما فى إسرائيل.

لقد خمدت جذوة الإنتاج السينمائى. وسقطت بسقوط الحياة الإسرائيلية وهاجر الممثلون والفنيون للبحث عن العمل داخل استوديوهات الولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا وإيطاليا.

ووصف النقاد الفرنسيون هذه الكبوة السينمائية فى إسرائيل بعد حرب أكتوبر بأنها «عودة إلى الوراء»، وهذه العودة يمكن أن تطول.. بل ستمتد إلى الأبد.. ذلك لأن المولين اليهود فى أمريكا كفوا عن إنزال أموالهم إلى هذه الصناعة البائرة.. وأن الكساد الفنى فى إسرائيل يوحى بتوقف الحياة عمومًا.

وبدا واضحًا أن شركات السينما فى إسرائيل أصبحت تعتمد على أفلام الجنس التى لا تحتاج إلى تكاليف.. ذلك لأن إمكاناتها محدودة.. وأن وزارتى التجارة والصناعة فى إسرائيل لم تعد تمول صناعة السينما بالقدر الكافى نظرًا لما تعانيه الميزانية من نقص كبير.. فضلا عن أن إنتاج أفلام جديدة لن يدر ربحًا بالقدر المطلوب.

وتركزت صناعة السينما فى إنتاج أفلام تسجيلية تمولها الحكومة

لخدمة أغراض دعائية تعيد الأنفاس بعض الشيء إلى الحكومة والشعب.. لكن دون جدوى.

ويشير مكتب الفيلم الإسرائيلى التابع لوزارة الصناعة بالقدس إلى أن هناك العديد من الشركات الخاصة برأس مال إسرائيلى.. من هذه الشركات الإسرائيلية ما يسمى بـ «اتحاد منتجى الفيلم الإسرائيلى»، و «نوح فيلم ستوديوهات»، و«إسرائيل موشان بيكتشر»، و«أفلام ليلاه»، و «شابيرا فيلم»، و «دانييل فاكس ليمتد»، و «جاكوب الكاو»، و «شركة باروخ دينار»، «وشركة ليران».

وهذه الشركات الإسرائيلية الأصل أفلست بعد حرب أكتوبر ٧٣.. ولم تعتمد إلا على الإنتاج القليل جدًّا الهابط المستوى.

حقيقة أن صناعة السينما فى إسرائيل تدهورت تمامًا بأفول الحياة فى إسرائيل بعد حرب أكتوبر. والسؤال الحائر فى عقول الإسرائيليين.. هو هل يمكن إعادة الحياة للسينما الإسرائيلية؟ ومتى.. وكيف؟

سينما.. ما بعد يونيو ١٩٦٧

بعد حرب يونيو ٦٧ قامت إسرائيل بإنتاج عديد من الأفلام السينمائية الروائية التى تتحدث عن جنون العظمة وغطرسة القوة.. وكل هذه الأفلام التى بلغت أكثر من مائتى فيلم، عمدت إسرائيل فيها إلى تسخير الخبرة الأجنبية من إنتاج وإخراج وتمثيل.. حيث جذبت الوجوه العالمية من السينمائيين اليهود والذين يتسمون بالميول الصهيونية العنصرية.

إن هذه الأفلام التى أنتجتها إسرائيل بعد حرب يونيو ٦٧، تحمل الكثير من المغالطات والأكاذيب التى توجه للرأى العام الإسرائيلى، وللرأى العام العالمى عن ذلك الجندى الإسرائيلى الذى لا يقهر.. والذى حقق المعجزات الخارقة فى حرب يونيو ٦٧.

ولعل السينما الإسرائيلية نجحت بعض الشىء فى تزييف هذا الانتصار فى عقل رجل الشارع فى إسرائيل.. ذلك لأن عنصر السينما سلاح بالغ الإغراء والنعومة فى إدخال ما يسمى بعظمة إسرائيل قوتها الخارقة.

ولنا بعض الوقفات عند عديد من هذه الأفلام التى أنتجتها إسرائيل على عجل، لتشهد العالم على مدى انتصارها فى حرب خاطفة مع العرب.

هناك فيلم يحمل اسم «ملف أورشليم»، وهو إنتاج إسرائيلى أمريكي مشترك.. أنتجته شركة «مترو وإسبرطة»، ومن إخراج الأمريكى «جون فلين»، وأعد له السيناريو والحوار «تروى كندى مارتن»، وهو كاتب أمريكى.. ومن تصوير راؤول كونار.. مصور الموجة الجديدة الفرنسية وهو الذى قام بتصوير فيلم «زد» وهناك مساعد مخرج إسرائيلى عمل فى هذا الفيلم هو «إيزاك بيشورون»، أما قائمة الممثلين فهم خليط بين الإسرائيليين والأمريكيين والفرنسيين والإنجليز منهم، «بوريس دافيسون، وبيكول ويليامسون»، و «داريا هاليرين بطلة فيلم» أنطونيونى زبريسكى بوئيت .. «ودونالد بليزانس، ويان هندرى، وجاك كوهين، وإيزاك تيان».

فى هذا الفيلم الذى تدور أحداثه فى القدس بعد حرب يونيو مباشرة، يبدو لنا «ديفيد أرمسترونج» وهو طالب آثار أمريكى، وصديقه العربى «راشد»، وهما يتعرضان لطلقات نارية من سيارة تمرق بسرعة عليهما وهما جالسان على مقهى، ويصاب ديفيد برصاصة ينقل على إثرها للمستشفى.. ويستجوبه الميجور «ساموليز» رئيس بوليس مدينة القدس عن الأسباب التى أدت إلى وقوع الحادث..

ويعمل «ساموبلز» فوق مهامه الموكله إليه مطاردًا للعمليات الفدائية التى يقوم بها العرب.

لكن «ديفيد» لم يخبر الميجور بشىء وقرر مغادرة إسرائيل التى يعيش الناس فيها تحت تهديد الخطر.

ويلتق به أستاذه «لانج» الذى يقنعه بالبقاء ويصحبه إلى الصحراء، حيث يلتقى «ديفيد» بصديقته الإسرائيلية الطالبة «نوريت»، التى قدمته لصديقها الطالب الإسرائيلى المجند «باراك»، وقد دعاه «باراك» إلى اجتماع مشترك للطلبة الإسرائيليين والعرب الذين يعارضون فكرة الحرب والإرهاب.

وبعد أن يقتنع الطالب الأمريكى «ديفيد» بإمكان الصلح بين العرب وإسرائيل من خلال الحوار، إذ به «بساموبلز» رئيس البوليس وهو يحمل جثث العرب والإسرائيليين معًا، قد أشار إليه بأن العرب هم الذين فعلوا هذا.. وذلك لمنع اجتماعات تهدف إلى تحقيق السلام.

هذا هو منطق السينما فى التضليل للرأى العام.. ولقد جاء النقد لاذعًا فى نشرة الفيلم الإنجليزى الشهرية التى يصدرها «معهد الفيلم البريطانى» بلندن عدد يونيو ١٩٧٠، لتقول إن هذا الفيلم وأمثاله لا يحتاج إلى تعليق من وجهة النظر العربية، ذلك لأن خرافية الموضوع تعطى انطباعات حقيقية عن تدهور الفيلم الإسرائيلى، وعدم تبصره بمجريات الأمور عن بعد.

يقول الناقد الإنجليزى ديفيد ويلسون عن هذا الفيلم «إنه يشير إلى محاولة فاشلة لصنع أحداث مثيرة حول الأزمة المستمرة بين إسرائيل والعرب.. وهى أزمة كثيرًا ما تتولد عنها القلاقل.. ويتساءل الناقد الإنجليزى قائلا: كيف تلق بمزيد من اللهب على نيران مشتعلة أساسًا إن سيناريو «تروى كندى مارتن» يتناقض أساسًا مع نفسه.. ففى جزء منه يبدو لنا وكأنه يقول إن محاولات الطلبة الإسرائيليين المثاليين لكسر الصراع العربى الإسرائيلى هى محاولات طيبة.. لكن المشهد الأخير الذى يلى التصوير البطىء لموت الطلبة من الجانبين فى الصحراء، يعود مرة ثانية ليؤكد أن هذه المثاليات ليس لها وجود فى إسرائيل.. لكن على ما يبدو من منطق هذا الفيلم الهابط أنه يقول لك «اترك السياسة لهؤلاء الذين أفسدوها.. إنها لعبتهم القذرة».

والملاحظ أن هذا الفيلم على حد تعبير الناقد الإنجليزى ويلسون يترك كل الثغرات مفتوحة، وحتى المتفرج الواعى يلحظ أن هناك تناقضًا واضحًا فى مفهوم هذا الفيلم لا يتفق مع منطق السياسة الإسرائيلية ولا الحياة فيها.

ولقد حاول المخرج أن يبدى لنا تفوقه فى إبراز لقطات سريعة فى مناظر ملونة وكلمة أخيرة قالها الناقد الإنجليزى عن هذا الفيلم: إنه يجدر بالسينما الإسرائيلية أن تترك السياسة، لأن العمل الفنى يبعد تمامًا عن الأفكار الانحرافية والعدوانية.

فضائح فى كان..

سعت إسرائيل بكل الوسائل للاشتراك فى مهرجان كان السينمائى الدولى، الذى عقد فى عام ١٩٧٣ بمدينة كان الفرنسية.. واختارت إسرائيل لهذا المهرجان أفلاما منتقاة أعظمها روعة وإتقانًا فى السينما الإسرائيلية.

اختارت ١٦ فيلمًا كان آخرها عام ٧٢ و ٧٣.. عام حرب أكتوبر.. وعرضت هذه الأفلام وسط ضجة دعائية صهيونية مدبرة ومخطط لها.. بواسطة نشرات أفيشات وكتيبات وزعت على الحاضرين فى المهرجان خاصة فى فندق «كارليتون» على الريفيرا.. كما وزع «مكتب الفيلم الإسرائيلى» التابع لوزارة الصناعة والتجارة بالقدس كتيبًا أنيقًا عن ١٦ فيلمًا أختيرت من بين أفلام إسرائيل ما بعد ٥ يونيو، لكى تعرض فى المهرجان الدولى واشترك فى إعداد الكتب بما يحتوى عليه من صور وتعليقات جذابة على صناعة السينما فى إسرائيل، «اتحاد منتجى الفيلم الإسرائيلى» بتل أبيب.. هذا إلى جانب نشرات أخرى أعدتها شركات السينما الإسرائيلية المشتركة فى المهرجان، وهى «نوح فيلم»، و «إسرائيل موشان بيكتشر»، «أفلام ليلاه.. شابيرا فيلم»، ودانيال فاكس ليمتد فيلم، «وجاكوب الكاو»، «وشركة باروخ دينار فيلم».. «وليران فيلم»..

ومن واقع المهرجان وما قاله النقاد هناك عن أفلام يونيو فى إسرائيل تبرز عدة حقائق هامة تهز صناعة السينما فى إسرائيل هزًا عنيفًا.

ونقدم هنا تلخيصًا موجزًا عن هذه الأفلام، التى قالت عنها إسرائيل إنها من أنجح أفلامها وهى أفلام تكشف عن مدى العقد النفسية التى تحكم إسرائيل.. وهى أفلام بعيدة كل البعد عن النظرة الموضوعية والمثالية لصناعة السينما فى أى بلد من بلدان العالم.

مثلا.. هناك فيلم اسمه « المنزل فى شارع شيلوش »، وهو من إخراج « موشى مزراحى »، وتمثيل « شيلا أوفير »، وجوزيف شيلوا، وميشيل بات أدم، وهو يتحدث عن اليهود فى فلسطين عام ١٩٤٦ و فى أثناء الانتداب البريطانى على فلسطين فى أثنائها تصل عائلة « سامى »، وهو صبى يهودى فى الرابعة عشرة من العمر مهاجرة من الإسكندرية إلى تل أبيب وتسكن فى غرفة واحدة فى شارع شيلوش.

عم سامى يعمل فى منظمة « أرجون زفائى لؤومى الإرهابية التى تقاتل الإنجليز فى البلاد.. وسامى يتعلق بسونيا ابنة أحد المهاجرين اليهود الروس.. ويفاجأ سامى بأن أمه تمارس الجنس مع رجل يهودى.. وهذا ما أقلق حياته وجعله يعيش دائمًا بعيدًا عن المنزل.. لأنه لم يستطع أن يفعل شيئًا.. لكن الأم تتزوج هذا الرجل بعد أن افتضح أمرها.. وفى مارس ٤٧ تزداد المقاومة السرية ضد وجود

الإنجليز فى البلاد.. وينضم حاييم زوج الأم إلى قوات الدفاع اليهودية، وتضطر الأم للبحث عن الطعام.. وحدث أن قتل جاكو الأخ الأصغر لسامى فى حادث انفجار قنبلة فى تل أبيب بعد قيام إسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨.

ولم يجد سامى لبقائه معنى فى المنزل.. ويتركه.. وتودعه أمه قائله : سامى.. لا تنسى.. فمنذ الآن لن يبقى شىء كما هو.. إنهم يقولون : «أن العالم كبير وعجيب وهناك أشياء كثيرة وجميلة لم أرها.. وربما تراها أنت».

هذا واحد من أفلام المهرجان.. وهناك فيلم آخر يحمل اسما هو «هروب إلى الشمس»، وهو فيلم إسرائيلى ألمانى فرنسى مشترك ومن إخراج المخرج الإسرائيلى المشهور «مناحيم جولان»، بطولة لورانس هارفى الممثل الإنجليزى المعروف.. «وليلى كيد روفا» ممثلة فيلم «زوربا اليونانى»، «وجوزفين شابلن» إحدى بنات «شارلى شابلن»، «وجاك أوكنز» الإنجليزى، «وجون أيرلند» الأمريكى.. ومن إسرائيل الممثل «يودار باركان»، «ويودا فروق»، «وجيلا الماجور» أجمل ممثلات إسرائيل.

وتقول النشرة الإعلامية للفيلم : إنه أحد المبادئ الأساسية لحقوق الإنسان، وإن من حق كل إنسان أن يمنح نفسه الحرية للسفر إلى أى مكان من هذا العالم، وأن يعيش أينما يختار، وإن الحدود يجب

أن تكون فى شكل جغرافى فقط، لتحمى صناعة البلد.. أى بلد ما.. ولتحميها من الاعتداءات المتوقعة عليها مستقبلا.

وقصة الفيلم تحكى «أن ثمانية أشخاص فى روسيا.. وهم يهود يريدون مغادرتها لأسباب شخصية.. بينهم طالبان متفائلان يريدان أن يبنيا حياتهما فى عالم آخر.. عالم فيه شمس وهدوء.. مثل إسرائيل.. لكن هذا الهروب يعتبر جريمة فى نظر الاتحاد السوفيتى، الذى يفرض القيود على اليهود.. وأخيرًا يستقل الثمانية طائرة ويهربون بها تخلصًا مما هم فيه.. ولم يشر الفيلم إلى حقيقة البلد الذى يضطدهم.. لكن الملابس والمناظر التى تبدو فى الفيلم تشير إلى أنه هو الاتحاد السوفيتى.

كذلك من بين أفلام يونيو.. فيلم اسمه «كاتز وكارازو» من إخراج «مناحيم جولان» أيضا، وتمثيل شموئيل رودنيسكى»، «وجوزيف شيلوا».. «ويورا باركان».

وهو كوميديا تصور حال اليهود المهاجرين إلى إسرائيل من جنسيات مختلفة واصطدامهم بواقع الحياة الإسرائيلية الغريبة التي لم تسر على نمط واحد مألوف.

«كاتز، وكارازو» مندوبان لشركة تأمين واحدة، ناجحان فى عملهما، أحدهما من دولة اشتراكية، والآخر من بلد شرق.. يصل تنافسهما فى أسلوب العمل إلى حد الحقد والكراهية كل للآخر.. وأن كانز له بنتان، وكارازو له ولدان.. ويحب الولدان البنتين

وينتصر حبهما على خلافات أبويهما ويتزوجان.. لكن تبدو نظراتهم ممثلة فى الخلافات حول أساليب الحياة المعقدة فى إسرائيل من جراء تنافر الأجناس المهاجرة.

ومن أشهر أفلام إسرائيل فيلم «أحبك ياروزا» إخراج «موشى يزراحى»، وتمثيل «ميشيل بات آدم، وجابى اوترمان».. وهو من الأفلام التى انتجت عام ٧٢ وسعت إسرائيل كثيرًا لإدراجه ضمن فلام الأوسكار.

فى هذا الفيلم تبدو الحياة قاسية وشاقة فى المنطقة اليهودية فى فلسطين فهى تغلق نفسها على التقاليد اليهودية المغلقة استعدادًا للحظة الوثوب إلى دولة كبرى تحقق أحلام الصهيونية واليهود فى العالم.. «روزا» أرملة شابة تعيش فى هذه الحياة المغلقة القاسية.. وطبقًا للتقاليد اليهودية فإنها ملتزمة بتربية شقيق زوجها الأصغر بعد أن مات زوجها فى حادث.. وتنشأ علاقة حب بين شقيق زوجها هذا وبينها تنتهى بالزواج فى هذا البلد.

- وهناك فيلم «رجل البوليس» أخرجه افرايم كيشون، بطولة «شاى أفيروز وأهاريرا آهيفاى».. ويحكى قصة جندى بوليس «عزولاى» الذى يكتشف فى نهاية خدمته الطويلة فى البوليس أن حياته العملية كانت فاشلة تماما، وأنه أساء اختيار هذه المهنة منذ البداية التى لم يوفق فيها إلى ضبط مجرم واحد، لكن الأشرار الذين ساعدهم

« عزولاى » بطل الفيلم يقررون فى النهاية تقديم هدية له قبل اعتزاله الخدمة.. فيدبرون حادث سرقة مفتعل فى المنطقة التى يقوم بالعمل فيها، ويوحون إليه باكتشافه لينهى خدمته بمكافأة وبكل شرف.

أيضًا هناك فيلم « المتلصصون » إخراج الشاب الإسرائيلى « يورى زوهار » الذى يلقبونه بمخرج الروائع.. وقد مثله مع « اريك اينشتين »، و« مونا زلير شتاين ».. يقول الفيلم.. إن « جوتا » ثرى يملك شقة على البلاج.. يعيش فيها حياة عابثة بعد أن فقد حبيبته الوحيدة التى أخلص لها تمامًا.. وهى « إيلى »، وحدث أن أتاه أحد المطربين المشهورين لكى يستعير منه شقته بعض الوقت، للقيام بإجراء بعض ألوان الغراميات فيها.. وحدث أن أحست « إيلى » بذلك فشغلت نفسها به.. بعد أن وصلها أنه يعيش حياة حرة طلقة مع غانيات.. أما هى فمرهقة فى العمل والمنزل لم تجد للحرية أدنى معنى.. من هنا ترفض فكرة الزواج أساسًا.

أما فيلم « اللقطة الثانية » الذى أخرجه « باروخ دينار » وبطولة « شيرى رين سميث الأمريكية، ويورى ليفى الإسرائيلى »، فإن بطله مخرج أفلام تسجيلية فى إسرائيل يعيش حياة اللهو والمرح مع الممثلات والسيدات المرموقات، بعد أن طلق زوجته التى لم يكن يحبها.. ويفاجأ باستدعائه للخدمة العسكرية.. لكنه وسط حيرته وارتباكه يدفع بفتاة من « الهيبيز » بدلا منه.. وهى فتاة أمريكية لا تحب الحرب

ولا تؤيدها، لذلك بدت ساخطة عليه وعلى تصرفاته غير اللائقة..
لكنهما فى النهاية يحبان بعضهما البعض وينتهى الفيلم بزواج صورى..
ذلك لأن الشخصيتين متناقضتين تمامًا فى أسلوب الحياة.

ووسط هذا اللون الساقط من أفلام ما بعد يونيو ٦٧ نجد فيلم «سرقة التليفون الكبرى»، إخراج «مناحيم جولان»، الذى فاز بنصيب الأسد فى أفلام ما بعد يونيو.. هذا الفيلم مثلته «بومبا تسور، ويهودا فيرونى، وشادى أفير».. ويحكى قصة «ميشولام»، كاتب البنك الذى يبدو دائمًا مولعًا بمتابعة الجرائم وأخبارها كل يوم فى الصحف ومن ألسنة الناس.. ومرة يقع سطو مسلح على البنك الذى يعمل فيه، فيتورط فى عدد من المشاكل مع الجميع الذين يعملون فى هذا البنك.. كذلك اللصوص.. والبوليس وأسرته هو أيضًا.. حيث تعدى الأمر إلى أن خطف اللصوص أمه.. ويصاب بعقدة الجريمة.. بأن يتحاشى سماعها أو الحديث عنها بعدما حدث له.. وهو فيلم كوميدى متحرك للتسلية فقط.. وليس فيه فكرة اجتماعية هادفة.

ومن أفلام هذه الموجه التافهة فيلم «النصف بالنصف»، الذى قام بإخراجه «بوز دافيد سون، ونسيم أزيكبرى»، وهما إسرائيليان، تمثيل «عساف ديان بن موشى ديان، وزئيف برلنسكى».. وتدور قصته فى بساطتها حول تذكرة يا ناصيب اشتراها صديقان وقطعاها

نصفين كل يملك نصفها.. لكنهما افترقا ولم يعرف أحدهما الآخر.. وحدث أن فازت التذكرة.. وسعى أحدهما فى البحث عن صديقه للحصول على النصف المفقود حتى يربحا الجائزة.. لكن دون جدوى ذلك لأن الصديق المفقود مات يوم السحب وفقدت التذكرة قيمتها.

كذلك نجد فيلم «سالو مونيكو» إنتاج ٧٣ الذى أخرجه «الفريد شينهارت»، وتمثيل «دافيد باريوتام، جروتاس، وجابر عمرانى»، وهم من ممثلى الدرجة الثالثة فى السينما الإسرائيلية.. وفيه «سالو مونيكو كاراساتيكاس».. مهاجر يونانى إلى إسرائيل منذ ثلاثين عامًا حيث عمل مع اليونانيين فى ميناء «يافا» القديم، وأقام معهم فى حى «فلورنتين» الشعبي فى تل أبيب.. فى منطقة الجنوب وهناك حافظ اليهود اليونانيون على التقاليد اليونانية لبلدهم.. وعندما يغلق ميناء يافا يلتحق «سالو مونيكو» بميناء أشدود الجديد على حين يرفض زملاؤه العمل فيه.. ويسعى هؤلاء إلى الحصول على مبالغ تعويض.. وينتقلون إلى حى برجوازى، لكن يحاول «سالو مونيكو» هذا التمسك بالتقاليد اليونانية القديمة بعيدًا كل البعد عن البرجوازية الجديدة.. لكنه يجد نفسه يعيش فى هذا الحي المتهالك القذر، فيقرر الانتقال إلى الحي الجديد مع اليونانيين ليعيش معهم معترفًا بأن الواقع أمر لا مهرب منه.

أما فيلم «فلوش»، فيتحدث عن كوميديا ضاحكة عن شخصية

« فلوش العجوز » الذى فقد زوجته فى حادث سيارة.. ومعها أولاده كلهم.. مما جعله يعيش وحيدًا.. إلا أنه يبحث عن زوجة شابة يقضى معها بقية حياته.. لكنه لم يوفق وتظهر لنا مفارقات عجيبة فى حياة هذا العجوز الذى لم ينته به الحال إلى شيء.

الفيلم مثله « إبراهام شالفى، وإسرائيل سيجال».. وأخرجه « دان دولمان». بعد ذلك ينقلنا التتابع إلى فيلم « ضوء من لا مكان»، إخراج « نسيم دايان»، وتمثيل « نسيم ليفى، وشومو باسان شاؤول».. وفيه يبدو « شاؤول» شابًا فى السابعة عشرة من عمره.. يتمسك والده بتقاليد الأسرة والمجتمع على ما يبدو فى الفيلم طبعًا، ويحاول الأب إبعاد الابن عن التأثير السيىء لأخيه الأكبر « باروخ»، الذى انضم لعصابة إجرامية خطيرة.. وأخذ الشاب يبحث عن السعادة لكى يعيش مستقرًا فلم يوفق.. ذلك لأن تبعات الحياة والأسرة فى هذا المجتمع لم تمنحه الفرصة، بل تعزله عن الحرية.. والحب.. والأمل الذى يدفعه للحياة.

أفلام الجريمة

وحول أفلام الجريمة.. هناك « عساف ديان، بن موشى ديان» الذى أعد خصيصًا لهذه الموجة من العنف الاجتماعى فى الحياة الإسرائيلية والفيلم الذى أخرجه حول هذا المنطق الإجرامى، هو

«جريمة عند التسليم»، تمثيل «أوديد كوتلر، وأفرام مور».

وقبل أن نخوض فى موضوع الفيلم يجدر بنا أن نشير إلى حقيقة «عساف ديان» هذا الذى غزا السينما الأمريكية بأفلام الجريمة.. وتحول إلى ميدان الإخراج ثم الإنتاج فى إسرائيل.. وقد اعتمد على ذاكرة أبيه الجنرال العجوز.. وموهبة أخته الكاتبة الإسرائيلية «يائيل ديان»، وكل الدلائل تشير إلى أنه عندما يخرج ابن السفاح فيلمًا إسرائيليًا، فإنه يشير إلى الجريمة.. وفى هذا الفيلم يبدو البطل «مجرمًا من الدرجة الأولى يؤدى لزبائنه جريمة من الدرجة الأولى»، هكذا قال النقاد عن هذا الفيلم وتقول نشرة الفيلم فى المهرجان..

وفى هذا الإطار الإجرامى، سقط الفيلم ذلك لأنه أبعد المشاهد عن الحياة المثالية وهو يقول.. إن الجريمة تفيد فى السينما والحياة الإسرائيلية.. وقد حول المخرج أنظار المشاهدين إلى أن الجريمة هى المخرج الوحيد للخلاص من الشدائد.. جريمة القتل للبطلة والسطو على البنك.. والاغتيال نهارًا.. مادام هذا يبنى الحياة.. ولا داعى لأن نبحث عن الوسائل.. فالتسليم بالواقع أمر يعتبر جريمة.. وهو ضعف حقيق للبناء الاجتماعى فى عرف «عساف ديان».

وعلاوة على الأفلام التى قدمت.. هناك فيلم إسرائيلى قدم للمهرجان باسم «عازيت.. الكلبة الفدائية، وهذا الفيلم.. للكبار والصغار.. وهو يصور كلبة فدائية اسمها «عازيت»، وفية.. وذكية،

تصحب صديقها الجندى «يورى» إلى قاعدته العسكرية وبعد تدريبها على المطاردة وبعض الأعمال الإجرامية والعسكرية تصبح عضوًا فى فرق الكوماندوز الإسرائيليين، وتشترك فى الأعمال الفدائية الخطيرة ضد الفدائيين العرب، ويبرز هنا ذكاؤها النادر.

الفيلم أخرجه «بوز دافيد سون».. مخرج الأفلام التسجيلية بجانب الأعمال الروائية، وتمثيل «جوزيف بولاك، وجدعون سنجر».. إلى جانب الكلبة «عازيت» التى تقترف الجرائم بعد تدريبها عليها.

ويبدو أن هذه الكلبة على ما شوهدت فى الفيلم، كانت مكلفة بحماية خط بارليف من أن تصل إليه يد المقاتلين العرب.

موجة من أفلام التناقض الفنى.. وغيرها من أفلام الهبوط إلى القاع قدمتها السينما الإسرائيلية منذ يونيو ٦٧.. وأكلها الصدأ داخل العلب بعد حرب اكتوبر ٧٣.. أكثر من مائتى فيلم إسرائيلى أحرقتها حرب أكتوبر، ذلك لأنها أفلام لم تخاطب الواقع الإنسانى.. ولم تنسجم مع فنية السينما المثالية.

أكتوبر والسينما الإسرائيلية

بسقوط إسرائيل فى حرب أكتوبر ٧٣.. سقطت السينما الإسرائيلية تبعًا لذلك.. فالسينما آلة تخاطب.. وهى المعول الأساسى فى أساليب الدعاية الإسرائيلية.

فبعد حرب أكتوبر ٧٣، سقطت فكرة الجندى الإسرائيلى الذى لا يقهر، من تلك الصناعة التى ظلت نغمة تتردد بعدة وجوه لا أساس لها من الواقع الفنى أو الموضوعى.

وبعد حرب أكتوبر انتقلت صناعة السينما فى إسرائيل إلى إبراز الخصائص اليهودية العنصرية، وإلى اليهودى كشخصية تصنع الحضارة لهذا العالم.

إن نغمة التخاطب السينمائية الإسرائيلية تغيرت تغيرًا جذريًا بعد حرب أكتوبر سنة ٧٣، فاختفت أسطورة الجيش الذى لا يقهر التى اشتد أوارها بعد حرب يونيو ٦٧.. واختفت النغمة التى كانت تغلف إسرائيل بأنها الواحة الوحيدة الراقية فى صحراء العرب

الموحشة.. كما اختفت الأفلام التى تتحدث عن التماسك الاجتماعى داخل الحياة الإسرائيلية.

لكن ماذا حدث فى السينما الإسرائيلية؟

حدث أن رحل كثير من فنانى وفنيى صناعة السينما فى إسرائيل بعد حرب أكتوبر، ذلك لأن هذه الحرب أضاعت بهجة الحياة الإسرائيلية عمومًا.. وأن السينما قد سقطت فى أتون ذلك السقوط.

توقفت صناعة السينما فى إسرائيل نسبيًا.. فلم تعد هناك أفلام إسرائيلية تتحدث من منطق الغلبة والقوة.. واتخذت شكلاً جديدًا فى الحياة هو محاولة معالجة القصور الذى حدث فى الحياة الإسرائيلية بسبب تلك الحرب.. وهذه المعالجات اتخذت مسارات متعددة.. وكلها تشير إلى أن صناعة السينما بعد أكتوبر قد سقطت فعلاً بسقوط أنماط الحياة الإسرائيلية.

فلقد قامت استوديوهات إسرائيل بعد حرب أكتوبر بإنتاج حوالى ٤٠٠ فيلم ما بين تسجيلى وروائى، وكلها تسعى لإغراق الشباب فى متاهات الجنس بغية إحياء روح الشباب التى ماتت بسبب الحرب التى حطمت نفوس الإسرائيليين. هذا إلى جانب العديد من الأفلام التى تشير إلى معنى الذات اليهودية، والشخصية الإسرائيلية وجذورها العميقة فى التاريخ الإنسانى، علاوة على افتعال أفلام تحمل طابع المقاومة والعظمة الزائفة، مثل فيلم «تحيا أورشليم».

على أن هناك أفلامًا تناولت مفهوم الحرب من الوجهة الإسرائيلية مثل فيلم « معركة غاضبة »، وفيلم « فى انتظار الجنود العائدين » وهى أفلام تخاطب الرأى العام الإسرائيلى بالأسلوب الذى دبجته العقلية الإسرائيلية الحاكمة والمسيطرة وكلها فى إطار إبعاد أحزان الهزيمة.

فإذا درسنا منهج الأفلام الإسرائيلية بعد حرب أكتوبر، نجد أنها سارت فى عدة اتجاهات متناقضة.. ذلك لأن السينما الإسرائيلية تريد أن تقول أى شيء.. تريد أن تقول للعالم إنها لا تزال موجودة بعد الحرب وويلاتها على الحياة الإسرائيلية. فإلى جانب الارتجال فى الموضوعات المستهلكة والمقتبسة من أفلام أوربية وأمريكية.. هناك مثلاً فيلم يطلق عليه « الظامئون للحب »، وهو فيلم يعيد فتوة الحياة للشاب، الذى فقد روح الوجود فى بلد الموت والنار.. وفى هذا الفيلم انتشال لسقوط الشخصية التى لُطمت فى حرب الغفران.. كذلك فيلم « إجازة فى أورشليم »، الذى يشيد بروح الحياة الإسرائيلية وهو يوقظ المشاهد إلى معنى التشوق للحياة بمثاليتها، وهى حياة من نسج الخيال السينمائى فقط. وهذا الفيلم قام ببطولته الممثل « توبول »، و« ليزا مانيللى »، و« جون كرافت »، على أن التركيز بعد حرب أكتوبر كان على فيلم « راؤول العظيم » الذى يبرز شخصية اليهودى البطل والذى لا يقهر أبدًا.

وتجدر الإشارة إلى ظاهرة جديرة بالبحث والدراسة وتتمثل فى هروب الفنيين الإسرائيليين مع رأس المال الإسرائيلى إلى خارج إسرائيل بعد حرب أكتوبر، ذلك لاعتقاد هؤلاء الفنيين بأن إسرائيل لن تقوم لها قائمة بعد هذه الحرب، وأنه لا أمل فى صناعة سينمائية جيدة.

إن الهروب من إسرائيل ساد بشكل ملحوظ. ذلك لأن مناخ الفن لم يعد له معنى بعد.. فالحرب قد جعلت الإسرائيليين لا يثقون فى المستقبل.. وبهذا بدت صناعة السينما بعد حرب أكتوبر بائرة لا أساس لها.. ونحن نجد الفنيين فى إسرائيل فى حالة عدم استقرار مستمر.. فلا نجد منهم من يستمر فى الحياة طيلة العام.. وهم يفضلون العمل خارج إسرائيل، والمثال الحى لذلك المخرج المشهور «يورى زوهار»، و«نسيم دايان» وغيرهما من الوجوه الإسرائيلية.

فالحرب قد أيقظت الإسرائيليين على حقيقة أنفسهم وجعلتهم يدركون أن الفن لا يمكن أن يستقر بهذه الحالة المزيفة.. وهى حالة تثبت فشل صناعة السينما الإسرائيلية.. وتطوى صفحة من تلك الصناعة التى هجرها الإسرائيليون إلى الخارج، بحثًا عن عمل أفضل.

فماذا تبقى للسينما الإسرائيلية بعد؟

السينما الإسرائيلية فى مهرجان «كان»

إن دراسة متأنية لنشاط السينما الإسرائيلية خلال عام ١٩٧٧ يوقفنا على عدة حقائق أساسية، وهى أن السينما الإسرائيلية تحاول أن تتمثل بالسينما الأمريكية من حيث الشكل والمضمون.. لكن السينما الإسرائيلية تحاول أن «تلعب» فى المضمون لإبراز قضية أساسية تحملها الصهيونية العالمية بين جلودها، وتجعل لها بريقًا فى المهرجانات العالمية، مثل مهرجان «كان» عام ١٩٧٨، إذا راح تجار السينما الإسرائيلية يغلفون بضاعتهم بأغلفة غير واقعية، فلم يلتزم تجار السينما الإسرائيليون بوضوح الرؤية، ودراسة التسلية الواعية التى تشكل الرأى العام العالمى.

نتوقف هنا عند سبعة أفلام إسرائيلية فرضتها الصهيونية العالمية على مهرجان كان عام ١٩٧٨. ونتبين من خلالها الإهتزازات العنيفة فى المجتمع الإسرائيلى بعيدًا عن التعلق بأذيال الحياة الأمريكية.

ها نحن نلق الضوء على فيلم بعنوان «مصاصة الليمون» الذى أخرجه «بوز دافيدسون»، وهو جيد فى نوعيته بعض الشيء.. والفيلم

يتعرض لمشاكل الشباب المراهق فى إسرائيل حين يتباعد عن الطريق السليم إلى متاهات الجنس.. وهو يماثل الفيلم الأمريكى المشهور «نقوش أمريكية» الذى أخرجه چورچ لوكاس.

وفيلم «مصاصة الليمون» يتحدث عن فترة الستينيات التى اشتهرت فيها أغانى «البوب»، لدى شباب العالم كنغمة جديدة.. إذ يبدو ثلاثة شبان فى غرامهم العاطفى، وهم من تلاميذ المدارس الثانوية وقد سيطر عليهم الحب الطائش.. فبطل الفيلم ممثل شاب هو «يفتاش كاتزور»، وهو موهوب فنيًا خفيف الظل والحركة، مما أكسب الفيلم عنصر التشويق.. ويمضى الفيلم بسذاجة معقولة عن مشاكل المراهقة والجنس والضياع الذى يعيشه الشباب اليهودى فى إسرائيل من خلال المغامرات العاطفية التى تتخللها الأغانى الراقصة بين الجنسين.. لكن لم ينس الفيلم الحبكة الفنية الغنائية الاستعراضية، مما جذب كثيرًا من المشاهدين. ويقول الفيلم باختصار إن المجتمع يمتص الشباب بحيث لم يترك فيهم أي عنصر من عناصر الطاقة النفسية والروحية، وهو إدانة للمجتمع الإسرائيلى.

أما فيلم «غن من قلبك» الذى أخرجه «أفى نيشير» فيبدأ بلوحة كبيرة تقول: «منذ قيام إسرائيل عام ٤٨»، ونحن أن أهم ظاهرة من ظواهر الثقافة فى إسرائيل هى.. فرق الترفيه التابعة للجيش الإسرائيلى، ثم تتتابع المشاهد لتجسد هذه الظاهرة التى تنخر عظام

الجنود الإسرائيليين.. وزمن أحداث الفيلم هو عام ١٩٦٩ خلال حرب الاستنزاف، حيث يلتحق شابان وفتاة بالجيش فى فرق الترفيه، وهى الفرق التى يعتبرها الجيش الإسرائيلى عنصرًا هامًّا فيه وداخل الوحدات المنتشرة فى كل مكان، وتبرز أدوار فرق الترفيه داخل وحدات الجيش، إذ تتضح العقد النفسية والدسائس والمكائد بين الفتيات والجنود.. ويتكتل أعضاء الفرقة الفنية التى ترفه عن الجيش ضد الجنود لتصرفات شاذة من أفراد الجيش لحقت بفنيى الفرقة.. وفى النهاية تدخل الفرقة الاستعراضية مسابقة بالتليفزيون وتنجح، وتعود لتضفى على الجنود روح المرح من خلال العلاقات الجنسية التى عمد إليها الفيلم كأسلوب مفتعل لإحياء غريزة الجنس لدى أفراد الجيش الإسرائيلى الذين حطمت نفوسهم حرب الغفران.

* * *

ومن بين قائمة إنتاج عام ١٩٧٧ فيلم «هيرشيل»، وهو كوميدى مغلف بالموسيقى التى أضفاها المخرج «يوئيل زلبر»، ويدور حول «هيرشيل»، الشاب، وهو موسيقى مهاجر إلى إسرائيل من روسيا يحصل على شقة بسيطة بين العرب واليهود الشرقيين البسطاء.. ويحاول هيرشيل أن ينقذ سكان الحى من الفقر والبطالة المفروضة عليهم.. وهنا يلتقى مع شباب الحى ليكون معهم فرقة موسيقية غنائية تطالب السلطات المسئولة بإقامة مركز للشباب يبرزون فيه

مواهبهم، ويتجسد الصراع بين الشباب والمسئولين حول هذه الأمنية وتبدو الفوارق الطبقية فى المجتمع الإسرائيلى الذى تتجسد فيه الفوارق الطبقية، مما يدفع إلى التصارع المستمر بين المجتمع والسلطة الحاكمة.. وهنا يثور الشباب وقد حملوا على ألسنتهم عبارات السخط والإستياء من الحكومة ولم يضع الفيلم النهاية المنطقية للقضية التى يعانيها اليهود الشرقيون فى إسرائيل.

* * *

أما فيلم «الرجل الصغير»، فيصور تصرفات خمسة شبان استدعاهم الجيش للخدمة العسكرية رغمًا عنهم لمدة شهر كعادة المسرحين من الخدمة، ويطلبون للتدريب حتى يكونوا على صلة بالوحدات العسكرية. وكالعادة تزورهم فى سلاح الدبابات فرق الترفيه من الفتيات.. وحدث أن تقع إحدى الفتيات فى حب شاب من المستدعين للخدمة، ويمارس معها الجنس داخل دبابة.. ويشارك الشبان الأربعة الباقون الجنس أيضًا مع الفتاة تبعًا لزميلهم.. وتحمل الفتاة ويقلقها الحمل إلى جانب قضية تشغلها بشكل أكثر إثارة هى.. من هو والد الطفل إذن؟ قضية كل فتاة يهودية تعمل فى الخدمة الترفيهية للجنود.. وأخيرًا يشفق عليها البطل ويتزوجها إيمانًا بحبه لها، وينتهى الفيلم وقد جسد لنا الحقيقة المرة التى يعانيها الشباب اليهودى من الجنسين، بسبب الحرب.

أيضًا.. وفى هذا الإطار نجد فيلمًا يحمل اسم «الخالة كلارا»، الذى أخرجه «أفراهام هيفنر»، وتدور أحداثه داخل أسرة مكونة من ثلاث شقيقات، تزوجت كل منهن من رجل كسول مريض.. وتقوم الشقيقة الكبرى «كلارا» بالإنفاق عليهم جميعًا من إيراد بوتيك صغير تملكه.. وبهذا تفرض سيطرتها عليهم.

وتتعقد المشاكل داخل الأسرة التى لم يجد فيها أحد فرصة فى الكسب ويظلون فى قوقعة مغلقة تحت تصرف «كلارا»، وهو ما يشير إلى أن هناك ضحايا كثيرين فى المجتمع الإسرائيلى بسبب إهمال الطبقات المعدمة غير المنتجة حتى تموت فى غير ضجة.

على أن هناك فيلمًا فى قائمة إنتاج ١٩٧٧ أيضًا هو «الحصان المهتز»، إخراج «ياكى يوشا».. والفيلم مأخوذ عن قصة كتبها الأديب الإسرائيلى «يورام كانيوك»، عن تجربته الذاتية التى عاشها خلال عام ١٩٤٨، ويحدد فى القصة الملامح اليائسة فى الحياة الإسرائيلية.. وأن إسرائيل لم تصل إلى المستوى المأمول، بل هى مجتمع من الغوغائية.. ويعبر «كانيوك» عن «الحصان المهتز» بحقيقة إسرائيل المضطربة والتى لم ولن تستقر على حال. ولقد رفضت الحكومة الإسرائيلية تمويل هذا الفيلم لأنه لا يتفق مع أهداف المؤسسة العسكرية الإسرائيلية الحاكمة.. ولأنه يوجه النقد اللاذع لقيام إسرائيل على أسس غير ديمقراطية.

وتبدأ أحداث فيلم «الحصانِ المهتز»، بوصول الفنان اليهودى «أحينداف سوستيز»، من نيويورك بعيد أن مزق لوحاته هناك وأحرق كل أنشطته التى قام بها خلال فترة حياته.. وها هو قد جاء إلى إسرائيل لبناء حياة جديدة فيها بعد أن يئس من الحياة فى أمريكا.

ويجد الفتى أن أباه قد توفى، وأن أمه تعيش وحيدة فى صمت لأن ظروف الحياة هكذا فى إسرائيل.. وراح يعيد صداقات الأسرة القديمة لكى يشعر بمعنى الحياة.. ويلتقى بعجوز مستهتر يعيش حياة بوهيمية، ويشغل نفسه بوضع دراسة جديدة حول الحياة الجنسية فى إسرائيل خاصة لدى الشباب.. ويجد الشاب أن الحياة فى إسرائيل تسير على عكس ما كان يتوقع.. وهنا يقرر العمل فى الإخراج السينمائى مستعيناً بأحد المخرجين الكبار ويقرر إخراج فيلم عن نزوح أبيه وأمه إلى إسرائيل فى فترة الثلاثينيات، وما لاقياه من عذاب وتعرض للموت على يد الفلسطينيين. وكان والد الفتى عازفاً للكمان.. ولم يجد فرصته فى إسرائيل لأن إسرائيل لم تكن ترحب بالفن، بل بالعمل الشاق من أجل بناء الدولة، وهنا يحطم الأب الكمان لأنه لم يعد يدر عليه قوت يومه.. ويربط الشاب حياته بحياة أبيه من أن مصير الفن واحد بالنسبة لمستقبلهما.. ويقرر أيضاً احراق شريط الفيلم الذى أتم إخراجه مؤمنا بأن أى عمل فى إسرائيل لا يجدى.. وكان الفيلم يقول للشباب الإسرائيلى لا تتفاءلوا بالمستقبل

الحياة فى إسرائيل غير مضمونة النجاح.. والفيلم من الأفلام الإسرائيلية الجادة التى لقيت رواجًا، خاصة وأن مؤلف القصة «يورام كانيوك» من الكتاب الإسرائيليين الذين يمتازون بالصدق فى تناول القضايا الاجتماعية فى إسرائيل.

ويمكن القول أن هذا الفيلم يحقق سلامة السينما الإسرائيلية فى بعض المواقف. لأنه من الأفلام الجادة بعيدًا عن الجنس وطيش الشباب، وهذا ما لم يألفه الكاتب الإسرائيلى المعروف «يورام كانيوك»، حتى والد البطل الذى سخط على قيام إسرائيل، تراه مجسدًا بصدق فى هذا الفيلم.. على أن المؤلف أبرز دور العجوز الكهل صديق الأسرة الذى التق به البطل «أميتداف سبوستيز»، والذى يعد بحثًا عن الحياة الجنسية داخل تل أبيب يؤكد بصدق أن المجتمع الإسرائيلى منحدر إلى الهاوية، لأنه مجتمع يتحكم فيه الشذوذ الجنسى.. وهذه قضية أساسية فى الفيلم الذى يؤكد ضياع مستقبل الجيل الجديد فى إسرائيل.

هذا علاوة على العديد من الأفلام بعضها يقول شيئًا والآخر يعتمد على الإثارة الجنسية الهابطة.. فالحصان المهتز اعتمد أساسًا على فكر جيد لأديب مشهود له بالجدية والصدق فى تناول القضايا الحيوية فى إسرائيل.. وقد برزت أعمال الروائى «كانيوك» بعد حرب يونيو ٦٧، كأعمال تبرز تفاعلات المجتمع الإسرائيلى إذ نبه «كانيوك»

إلى عدم السير فى ركاب الغـرور العسـكرى المؤقـت. . لأن الحتميـة التاريخية لابد وأن تعيد الأمور إلى نصابها، وقـد كان لحـرب أكتـوبر ٧٣، الرد الإيجابى المروع الذى نبه إليه «كانيوك»، لـكن هـل سمعـه أحد؟ لا. . إلا العقلاء.

السينما الإسرائيلية.. والبدايات المنتهية

لا يفرق اليهود بين السينما كفن راق أو كونها آفة دعائية.. وقد لعبت السينما اليهودية دورًا بارزًا فى الدعاية لإسرائيل على النطاق العالمى إذ سخرت كل أجهزة التطور السينمائى لمصالحها ولأهدافها العنصرية البغيضة، لاستقطاب أكبر عدد من الرأى العام العالمى بغية غرس وجهة نظرها فى العقول.

وهنا نجد الصهيونية العالمية تسخر رجال الأعمال والشخصيات البارزة فى الأدب والفن لأهدافها العدوانية، حتى تنفذ إلى العقول لفرض وجهة نظر صهيونية وعنصرية بواسطة العاملين فى مجالات صناعة السينما.

ومن المعلوم أن هوليوود - وهى ضاحية من مدينة لوس أنجيلوس بولاية كاليفورنيا الأمريكية - تتركز فيها صناعة السينما الأمريكية، وقد سعى اليهود بالدخول إلى صلب تلك الصناعة من أجل الكسب من جهة، ومن جهة أخرى بث الدعاية الصهيونية العنصرية عن طريق الأفلام الوثائقية والروائية لتغيير أفهام الجماهير..

وظهرت السينما الصهيونية بوضوح قبل وعد بلفور عام ١٩١٧.. فى عام ١٩١٢ ظهر فيلم «حياة اليهود فى أرض الميعاد» وهو أول فيلم يهودى، وعرض الفيلم بين الجاليات اليهودية فى أوربا وأمريكا، يجسد الحقيقة الغائبة لدى اليهود حول حلمهم فى أرض فلسطين.. وصاحب عرض الفيلم محاضرات وندوات عقدها المبعوثون اليهود، والهدف من ذلك هو جذب الشباب اليهودى الأوربى والأمريكى إلى إسرائيل الأرض الموعودة.. وظل فيلم «حياة اليهود فى أرض الميعاد» معروضًا أمام يهود العالم عشر سنوات حتى تم إنتاج فيلم «الوصايا العشر»، الذى أخرجه الصهيونى «سيسيل دى ميل» عام ١٩٢٣، واستمد الفيلم مادته العلمية من العهد القديم كما جاء فى أسفار بنى إسرائيل مع التحريف الذى حاكه دعاة الصهيونية لتطويع المادة الفيلمية لأغراضهم، ويجسد الفيلم عملية خروج بنى إسرائيل من مصر ومعهم موسى عليه السلام، وهو من الأفلام الصامتة.. بعد ذلك ظهر فيلم «الفرقة اليهودية» ويؤكد على الارتباط التاريخى بين اليهود وفلسطين محبوك دعائيًا لكى يغفل الحق الفلسطينى.

أما أول فيلم يهودى ناطق باللغة العبرية فهو فيلم «هذه أرضى»، إنتاج أمريكى عام ١٩٣٢ ويروج لحق اليهود المزعوم فى أرض فلسطين، ويؤكد على حقيقة هامة وهى ضرورة إقامة الشباب اليهودى فى أرض الميعاد.. وفى عام ١٩٣٢ أيضًا أنتج الصهيونى «نلستان أكسيلرود» فيلمًا روائيًا ناطقًا باسم «الهدهد»، ربما يكون إشارة إلى

هدهد سليمان النبي عليه السلام، والذى حدثت قصته فى الفترة ما بين عام ١٩٧٠ - ٩٣٥ قبل الميلاد، وقد استخدم نلستان الأسلوب الرومانسى الذى يصور نشاط اليهود الشباب المهاجرين إلى أرض فلسطين الذين يعدون لقيام الدولة اليهودية المنشودة.

هذا ولم ينحصر النشاط السينمائى الصهيونى فى الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، بل تعداه إلى أوربا أيضًا.. فقد ظهرت السينما اليهودية فى بولندا عام ١٩٣٣ فى فيلم صهيونى مكشوف، هو فيلم «صابرا»، ويتناول قضية المهاجرين الشبان من اليهود إلى أرض فلسطين.. إذ يصور لهم الأحلام الزائفة فيما يسمى بأرض الميعاد وهو مغالط للحقائق التاريخية المتعارف عليها، والفيلم من إخراج ألكسندر فورد.

وحول قضية المهاجرين اليهود إلى أرض فلسطين أنتجت هوليوود عام ١٩٤٨ فيلمًا تسجيليًا مدعمًا بالوثائق التاريخية المكذوبة.. وقد عرض فى ٦٢٠٠ دار عرض سينمائى تتركز فى الأحياء الصهيونية فى أوربا والولايات المتحدة الأمريكية. كما حصل منتجه «باروخ دينار» على جائزة الأوسكار وفى بريطانيا عام ١٩٤٩ أنتج فيلم «الرقم ٢٤ لا يجاوب»، وهو فيلم يتناول نشاط العصابات الصهيونية المسلحة فى أرض فلسطين ومخابراتها العسكرية التى تنشط ضد العرب الآمنين.. واعتمدت إسرائيل كلية على أسلوب المخابرات البريطانية فى إنتاج هذا

الفيلم الذى يقول إن اليهود يعملون بذكاء لإقامة الدولة اليهودية، وقد تحقق لهم ما أرادوا.

وفى عام ١٩٢٦ عاود المخرج الأمريكى الصهيونى المعروف «سيسيل دى ميل» الكرة بإنتاج فيلم «الوصايا العشر»، باللغة الناطقة وبعدها بالألوان.. وإبان العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦، عرض هذا الفيلم فى أوربا وأمريكا ليجسد حق اليهود فى فلسطين والنظرة التوسعية، إنطلاقًا من المغالطات التى أوردها الفيلم عن موسى عليه السلام والعصر الذى يليه.. وصاحب عرض الفيلم حملة دعائية صهيونية واسعة النطاق فى أوربا وأمريكا ضد العرب والمسلمين.. فكان العرض يعرض ليلاً وتتم ندوات نهارًا حول الوجود العربى وتاريخ العرب، الذى شوهته الدعاية الصهيونية العنصرية.

هذا.. وفى أواخر الخمسينيات أنتجت الأجهزة الصهيونية فى هوليوود عدة أفلام تحمل لونًا آخر من الدعاية الصهيونية ضد العرب، من هذه الأفلام ما يسمى بفيلم «الخروج»، و«يوديت»، و«راحيل»، وفيلم «ظل العملاق»، وقد تعرضت كلها للمواقف الأيديولوجية للصهيونية العنصرية وضرورة التبرع بالمال والهجرة إلى أرض الجدود الأرض الموعودة وفق ما جاء فى التوراة.

ولابد لنا من أن نبرز دور مكتب «يونيتد جويش آبل»

الصهيونى، الذى يقوم بعملية جمع الأموال من المتبرعين اليهود ومن غيرهم، ممن وقعوا تحت سيطرة الدعاية الصهيونية.. ومكتب يونيتد جويش آبل، يجتذب المنتجين الأمريكيين لكى يحملوا وجهة النظر الصهيونية فى أفلامهم.

وبعد حرب يونيو ١٩٦٧ تأسست فى هوليوود مؤسسة تدعى «رصيد الطوارئ لعون إسرائيل»، وتقوم كسابقتها بجمع التبرعات والتسلل للمنتجين السينمائيين، لكى يتبنوا قضية اليهود وذلك بإنتاج أفلام تسجيلية تحمل وجهة نظر اليهود فى الحياة على أرض فلسطين بنظرة توسعية.. أضف إلى ذلك وجهة نظر إسرائيل نحو السلام كما تتصورها الصهيونية.. فقد قام المخرج «جول داسان»، بإخراج فيلم طويل تحت اسم «الحرب من أجل السلام» عن سيناريو «إيرجين شو»، الذى زيف أحداث الشرق الأوسط بشكل يدل على سذاجة العمل السينمائى. كما قدم الفيلم حركة المقاومة الفلسطينية بأنها حل إرهابى فى حين أبرز الفيلم حياة اليهود بأنهم أناس مسالمون نشطون في إقامة حياتهم فى جو من السلام والأمن، بغية التقدم وتطوير وجه الحياة.

أما المخرج الإيطالى «لوتشينى» فقد أخرج فيلم «معركة سيناء»، مجد فيه بطولة الجندى الإسرائيلى وبسالته من أجل حماية كيانه اليهودى على أرض الآباء.

وأنتج الصهيونيون البريطانيون فيلمًا عام ١٩٦٩ بعنوان «هذه أرضه»، من إخراج «جيمس كولبر»، ويحمل الفيلم قضية هامة هى تبرير حق إسرائيل فى ضم الأراضى العربية بالقوة، وفق مخطط صهيونى مرسوم، ولقد نفى هذا الفيلم استهجان الرأى العام البريطانى لأنه يصر على بقاء الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية، وهذا يغاير منطق العدل والسلام ويناقض منطق السياسة البريطانية.. وقد حمل النقاد البريطانيون على هذا الفيلم الذى يمجد العدوان.. وتتساءل الصحافة البريطانية بلغة الواقع وهى.. هل يجيب فيلم «هذه أرضه» على وجهة نظر السياسة البريطانية تجاه احتلال إسرائيل للأراضى العربية ؟

أما فيلم «حائط القدس» الذى قام بإخراجه «در دريك روسيف»، فإنه يتحدث عن العدوان الإسرائيلى وضرورة إبقاء القدس تحت السيطرة اليهودية.. وقد علق عليه النقاد بقولهم «إنه يحمل وجهة نظر طرف واحد»، يعنون وجهة نظر إسرائيل.. وليس هذا الرأى الذى يجسده الفيلم، مفروضًا على أفكار الرأى العام العالمى.

وحين احتفل الإسرائيليون ومعهم كل اليهود فى العالم، بذكرى إنشاء إسرائيل عام ١٩٧٣، وهى الذكرى الخامسة عشرة لتأسيسها، قامت الصهيونية فى الولايات المتحدة وأوربا الغربية والأرجنتين وكندا واستراليا، بإنتاج أفلام محبوكة لهذه المناسبة ومكررة فى الشكل

والمضمون. فأخرج «چيمس كولـيرا» فيلمًا بعنـوان «أهمس بـاسمى»، ويقوم على إحساس بطلته هى فتـاة أمـريكية ذات أصـل يهـودى - بالوحدة والتعاسة فى حياتها، تعيش فى مدينة نيويورك ذات نـاطحات السحاب العالمية والرفاهية وتقرر الرحيل إلى إسرائيـل، لتجـد حـظها السعيد هناك فتعيش حياة هادئة فيها كل ما كانت تفتقده من قبل.

وإذا دققنا النظر فى بدايات السينما فى إسرائيـل لـرأينا أن عـام ١٩٦١ هو البداية الحقيقية لصناعة السـينما الإسرائيليـة.. لـكن عـام ١٩٦٧ هو الركيزة الأساسية فى إنطلاقة السينما العنصرية الـتى مجـدت الجندى الإسرائيلى، وأحاطته بهالة من الدعاية التى أعمت عينيه عـن رؤية الحقيقة، فبعد حرب يـونيو ١٩٦٧ وجـدت السـينما الإسرائيليـة طريقها بالأسلوب المفتعل، متـأبطة ذراع السـينما الأمـريكية فى إنتـاج مشترك، لأن كمية الأفلام التى أنتجـت لإسرائيـل داخلهـا وخـارج حدودها منذ ٦٧ وحتى ٧٣ تفوق أى إنتاج فى العالم من حيث كمية الأفلام.. حتى إن المشتغلين بصناعة السينما فى العالم علقوا على هـذه القضية بقولهم : إنها هيستريا الإنتاج السينمائى.. وحـتى عـام ١٩٧٣ توقفت صناعة السينما الإسرائيلية لكى تجـد طـريقًا آخـر تشـقه فى اتجاهين، الأول إحياء الذات اليهودية الـتى أمـاتتها لـطمة حـرب الغفران، والثانى ضرورة مخاطبة الرأى العـام العـالمى بـأسلوب يتفـق وما يشغل اهتمام الجماهير.

وعلى كل فإن النظرة الموضوعية الناقدة ترى أن السينما الإسرائيلية تسير على عصى مبتورة.. ذلك لأنها لعبة غير واعية بأسلوب الحياة ومسيرة التاريخ، لذلك نجدها تغير جلدها بين الحين والآخر، لأنها صناعة لا أساس لها من الواقع العلمى والتاريخى.

عربات النار.. وأفلام أخرى

لقد أشرنا إلى أن السينما الإسرائيلية تسعى إلى تدعيم وجودها بواسطة الإنتاج المشترك مع أوربا وأمريكا وكندا.. وكثيرًا ما تشترك بريطانيا بأفلام تحمل اسمها الرسمى فى المهرجانات العالمية، كذلك فرنسا وإيطاليا، ومن هذه الأفلام التى تعتبر عملا مشتركًا بين إسرائيل وبريطانيا فيلم «عربات النار»، وقد اشتركت به بريطانيا فى المهرجان السينمائى الدولى فى «كان» عام ١٩٨١ وسط دعاية صهيونية مكثفة للفيلم الذى تبدأ مشاهده بأبيات من قصيدة «القدس»، للشاعر اليهودى» ويليام بليك»، والأبيات تقول (هات لى قوسى من ذلك الذهب المحترق.. هات سهامى من وحى الأمل.. وأين رمحى.. أيتها السحب الكثيفة.. انقذينى بعربات النار).

وتدور الأحداث عام ١٩١٩ حين التحق الشاب اليهودى «هارولد إيرهامز»، بجامعة كمبريدج الإنجليزية ذات السمعة العالمية آنذاك، والتى لا يدخل أبوابها إلا أبناء الطبقة الراقية من الميسورين..

وهارولد هذا واحد من أبناء اليهود المرابين الذين يستغلون المال فى الحصول على المال بإقراض المعسرين بالربا، مما يدر عليه فوائد كبيرة، وهذا هو حال اليهود عبر عصور التاريخ.

ويبدو هارولد متفوقًا فى العدو والسباقات التى تقيمها الجامعة لطلابها، ويسر هارولد لصديقته بأسباب تطلعه للفوز فى المسابقات، وهو أنه يهودى واليهود، يشعرون بضآلتهم أمام الشعوب، إذن فهو يسعى لإبراز ذاته كإنسان متفوق ومتميز.. ويتصادف أن تكون الفتاة من مؤيدى اليهود المتعاطفين معهم.. ويبرز الفيلم الوتر الحساس طوال ساعتين وربع على لسان الفتاة، التى تمجد اليهود وتفوقهم على كل الشعوب، كذلك أستاذه فى الجامعة الذى يشيد به كيهودى، وأن اليهود فى رأى الأستاذ أيضًا هم شعب الله المختار، كذلك وفى إطار آخر تبدو شخصية شاب آخر هو «أريك ليدل»، وهو متفوق فى العدو أيضًا. ويعتبر العدو وصولا إلى الهدف الأسمى إلى الله سبحانه وتعالى، لذلك نجده يربط بين الدين والرياضة فى هدف واحد، هو القيمة المثالية للإنسان.. ويسعى «هارولد» للوصول عن طريق التدريب المستمر إلى الاشتراك فى أوليمبياد عام ١٩٢٤ فى باريس.. وبالفعل يشترك هو وصديقه «أريك» حيث يتغلبان على الصعاب ويفوزان بالبطولة التى سجلها العالم لهذين الشابين اليهودى «هارولد إبرهامز»، والمسيحى «أريك ليدل»، حيث يقول الفيلم إن لليهود تفوقًا فى شتى المجالات. وقد قام «هيد هيدسون»، بإخراج الفيلم على

نسق موسيقى معبر ومميز.. والفيلم لا يقول شيئًا ذا قيمة فنية أو معقولة.. إنما هو نسق موسيقى براق محشو بهالة ضخمة عن تفوق اليهود فى مجال الرياضة.

أما الإنتاج الإسرائيلى المشترك فيتحقق بفيلم «هؤلاء والآخرون»، للمخرج اليهودى الفرنسى «كلود ليلوش»، ودخلت به فرنسا مهرجان «كان» لعام ١٩٨١. إذ استقبله الجمهور فى المهرجان بفتور وسخرية، ولم يحظ بأية جائزة من جوائز المهرجان. ولـقى مخرجه سخرية النقاد حين تحدث فى المؤتمر الصحفى عن الفيلم. ذلك لأن ليلوش كتب سيناريو هذا الفيلم الذى لم يقل جديدًا لا فى الشكل ولا فى المضمون برغم التكاليف الباهظة التى أحاطت بالفيلم.. وموضوع فيلم «هؤلاء والآخرون»، ينطلق من داخل أربع أسر تعيش فى باريس ونيويورك وبرلين وموسكو أيام الثلاثينيات، وقد حل بتلك الأسر الكوارث والأهوال وما جرى لأبنائهم وأحفادهم على مر السنين، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية التى دمرت الكيان اليهودى فى العالم.. ويقوم بدور شخصيات الفيلم موسيقيون أو راقصون أو مغنون، كل لا يجد فرصته فى الحياة فيسخط عليها وعلى من حوله من الناس.

ويركز فيلم «هؤلاء والآخرون» على تعذيب اليهود فى أفران النازى إبان الحرب الثانية وهو موضوع مستهلك دائمًا.

فالأسرة الفرنسية فى الفيلم، مكونة من موسيقى وزوجته وابنهما، ولأنهما من اليهود لم يجدا فرصتهما، بل اقتيدا إلى أفران النازية مثل بقية اليهود الذين افترشوا الطرق ومحطات السكك الحديدية فى انتظار انتقام النازيين منهم، ويزج باليهود فى عربات القطارات القذرة المظلمة، ولم يجد الموسيقى الفرنسى وزوجته أملا فى الحياة فيرفعان الابن من تحت عجلات القطار، لكى يحظى بمن يقوم بتربيته.. وتبدو الأم رافضة هذا التصرف من الأب وتحنو على الابن لكن دون جدوى لأن كل الآباء يفعلون هكذا.. ويموت الأب وتبقى الأم وحيدة فى المعتقل المظلم والقذر الذى أعده النازيون لليهود انتقامًا منهم.

وحين تخرج الأم من المعتقل بعد سنوات تجد فى البحث عن ولدها. وهنا وبعد سنوات تشاهده على شاشة التليفزيون وقد عمل محاميًا فيبلغه أحد أصدقائه أن والدته لا تزال على قيد الحياة، وحين يلتقى بها يجدها قد فقدت ذاكرتها. وتظل تنظر إليه ولا تتكلم.. ولابد إذن من الانتقام من النازيين الذين حطموا نفوس اليهود.

* * *

أيضًا وفى هذا الإطار المصطنع نجد المخرج الإسرائيلى «ياكو يوشا» يقدم للجماهير فيلمًا يفضح صناعة السينما فى إسرائيل.. والفيلم يحمل اسم «النسر» وهو فيلم جرىء لكن الرقابة التابعة للجيش الإسرائيلى حذفت بعض المشاهد التى تبرز ضحايا الحرب فى صور لا ترتضيها السياسة الإسرائيلية.

وفيلم «النسر» يصور الهجوم المصرى على الجيش الإسرائيلى ظهر ٦ أكتوبر ١٩٧٣. كذلك يجسد الذعر الذى أصاب الجيش الإسرائيلى ومدى الارتباك الذى حدث للجنود فى سيناء وفى إسرائيل.. وتبرز هنا شخصية أحد الجنود الإسرائيليين الذى حصل على ساعة أحد زملائه القتلى، ويجلس فى المقهى ويجد بجانبه رجلا حزينًا على ابنه المقتول فى الحرب، ويدور نقاش بين الجندى ووالد زميله المقتول ينتهى بأن يطلب منه والد زميله أى شىء عن ابنه، فيخبره الجندى أن صديقه المقتول لم يترك إلا قصيدة شعر، وهنا طلبها الرجل بلهفة، فسعى الجندى النصاب إلى نقل قصيدة من كتاب ولطخها بالدم من أطراف الورقة المكتوب فيها القصيدة وقدمها للأب والد زميله. وهنا توطدت الصداقة بين الجندى وبين والد زميله المقتول، إذ دعاه الرجل إلى بيته وعرفه بزوجته وخطيبة ابنه المقتول.. وراح ينصب الجندى شباكه خلسة مع الفتاة وأوهمها أن صديقه وزميله المقتول لم يكن يحبها حقيقة.

ويستمر هذا الجندى فى عمل النصب التذكارية عن الجنود القتلى وهو يغنى ساخرًا من الجيش الإسرائيلى ومن صناعة الموت المستمرة. إنه النسر الذى يلتهم كل ما يراه حتى عقول الآخرين.

ولقد استطاع المخرج الشاب «يوشا» أن يقدم صورة من الحياة الإسرائيلية المهتزة.. وحياة النصب والاحتيال السائدة داخل المجتمع إلى جانب النظرة التشاؤمية للجنود الإسرائيليين.. الفيلم مرح ومشوق

يمتاز بالكوميديا الساخرة من الحياة والناس.

وبهذا يمكن القول.. أن السينما الإسرائيلية تسخر من المجتمع المهتز.. مجتمع الكذب والنفاق للوصول إلى الهدف.. وكل هذا أحدثته الحرب التى أفرزت مساوئ المجتمع الإسرائيلى المعقد التراكيب غير المتجانس فى تركيبه القومى.. وسيظل حال المجتمع الإسرائيلى هكذا، لأن اليهودى فى إسرائيل فقد الانتماء القومى والتركيب العضوى.. وهو مجتمع تسوده العقد النفسية التى تودى بحياة الأفراد. هو ما عبرت عنه السينما الإسرائيلية التى تنطلق من المجتمع.

فيلم السفير..
لطمة للسياسة الأمريكية.. كيف؟

أقام الصهيونيان أبناء العم «مناحيم جولان» و«جلوباس» شركة سينمائية تنشط فى ابتزاز الأموال بطرق ملتوية.. فالهدف ليس الفن للفن.. لكن الفن من أجل الأبتزاز المالى أولا.. ثم الاستقطاب الفعلى ثانيًا.. والشركة التى أقاماها معًا هى شركة «كانون للإنتاج السينمائى المشترك».. ومن أنشطة الشركة توقيع عقود مزورة وشبه مزورة مع دور العرض فى أوربا وأمريكا لأن الشركة المذكورة تعمل بالطرق الخفية من أجل السيطرة على الأسواق العالمية.

وأسلوب أفلام شركة «كانون»، هو الأسلوب الجنسى الذى

يجذب الشباب إلى الأفلام الخليعة التى تخاطب الجنس فى أحط صوره.. فعلى الرغم من قلة التكاليف التى تضعها الشركة لإنتاج الفيلم، فإنها تنشط فى تسويقه عالميًا معتمدة على أسلوب الإثارة.. وتحاول الشركة عدم إظهار هويتها أو تحديد خطة إنتاجها منفردة.. بل تقحم العديد من شركات الإنتاج فى أوربا وأمريكا حتى تفتح أسواقًا واسعة بسبب استخدام الأسلوب المشوق والعرى والخلاعة والمجون فى مخاطبة الشباب. ومن خلال الكوميديا الهزلية نجد نقطة يرمز إليها الفيلم، ألا وهى إسرائيل.. بلد الحضارة والتقدم الإنسانى.. هذا هو الهدف.. هدف سياسى من خلال عقدة الجنس وحماة الرذيلة، وأمامنا فيلم أنتج عام ١٩٨٣ باسم «السفير»، بطولة «روبرت متشوم» و«روك هدسون»، و«ايلين بريستين».. والممثل الإيطالى المشهور «فابيو تستى».. والفيلم يتحدث عن سلام مزعوم من وجهة نظر ساذجة بين اليهود والفلسطينيين.. ويركز على الأسلوب الأمثل لما يسمى بالتعايش السلمى بين العرب وإسرائيل.. وذلك عن طريق الحوار بين من أسماهم الفيلم «العقلاء»..

يجسد الفيلم مفهوم السلام عن طريق فتح باب الحوار.. وإقناع العرب بحق إسرائيل فيما تسيطر عليه من أرض، لأن الحقائق التاريخية تقر لهم حقوقًا قد وصلوا إليها.. كما يحمل الفيلم إشارة إلى الدور الأمريكى فى القضية.. فعن طريق السفير الأمريكى فى إسرائيل يمكن إفهام العرب أن لإسرائيل حقًا مقدسًا.. فقد استقل السفير الأمريكى

سيارته ومعه مسئول المخابرات فى السفارة حتى وصلا إلى منطقة نائية منعزلة تمامًا ليجدا الفلسطينيين جالسين، ويقنعهم السفير بضرورة الاعتراف بحق اليهود وبحتمية الحوار مع اليهود للوصول إلى نقطة الصراع.. ويبدو أن السفير الأمريكى قد أخفى هذه المهمة الشخصية عن حكومته حتى يكلل عمله بالنجاح.

ويبرز الفيلم فى لقطة «زووم» بعض الشباب الفلسطينى حاملين السلاح استعدادًا لضرب السفير.. لكن أحدهم يتقدم من السفير ويناقشه فى الأمر.. ويحتدم النقاش بين الشاب الفلسطينى والسفير الأمريكى، وهنا يغضب السفير حين يقول له الشاب الفلسطينى «نحن لانثق لا فى أمريكا ولا إسرائيل معًا»، وفجأة تصب إحدى الطائرات الإسرائيلية نيرانها على الفلسطينيين وتحصدهم على حين يبقى السفير وحده ومعه ضابط مخابرات السفارة.. وتقتاد مخابرات إسرائيل السفير الأمريكى والضابط إلى مركز المخابرات الإسرائيلية فى المنطقة.. وبعد ذلك يأخذ وزير الدفاع الإسرائيلى فى تعنيف السفير الأمريكى الذى يتصرف بهذا الأسلوب غير الدبلوماسى.. ويبدو السفير محرجًا من هذا التصرف الذى تلومه عليه زوجته أيضًا.. ويبرز الفيلم جانبًا آخر.. هو علاقة تربط زوجة السفير الأمريكى بتاجر فلسطينى يدعى «مصطفى الهاشمى» يبيع التحف الشرقية فى مدينة القدس ويقصده الجميع طلبًا للشراء.. وكثيرًا ماتتخفى زوجة السفير الأمريكى وهى تقصد بيت التاجر الفلسطينى.. وهو مسكن خاص بملذاته، وتبرز

الكاميرا لقاءهما المستمر ليلا ونهارًا وهى تقدم له كل المغريات الجسدية.. لكن هناك كاميرا خفية تسجل اللقاءات بالصور المتحركة.

وفجأة.. وحين كانت زوجة السفير تقيم لدى العشيق الفلسطينى يحدث انفجار مروع فى السوق بجوار حانوت التاجر الفلسطينى مصطفى الهاشمى.. ينقل على أثر الحادث أشخاص إلى المستشفى بينهم زوجة السفير الأمريكى مصابة بحروق فى الوجه واليدين.. ويعلم السفير من سائقه أن الزوجة سافرت إلى القدس.. وحين يتوجه إلى هناك يفاجأ بأنها مصابة فى الحادث الذى سمع عنه كل الإسرائيليين، وهناك مفاجأة أخرى.. وهى أنه حين كان السفير يسير فى مدينة القدس شاهد دار سينما خالية من المشاهدين تمامًا وأبوابها ونوافذها مفتوحة.. وتوقف ليشاهد على شاشتها صورًا مخلة بالآداب لزوجته وهى فى أحضان التاجر الفلسطينى.. وعندما يتقدم السفير مذهولا إلى ماكينة العرض ليوقفها، يتلقى مكالمة تليفونية مجهولة وبصوت مسموع بأن عليه أن يدفع مبلغ مليونًا ونصف مليون دولار ثمنًا لنسخ الفيلم، وإلا فإن الفضيحة ستنتشر فى أوربا وأمريكا بعرض نسخ الفيلم وتلطيخ سمعة السفير الأمريكى، وبهذا سيبعده الكونجرس ويحقق معه فى هذه الفضيحة الواضحة والتى يتحدث عنها الرأى العام العالمى.

ولم يجد السفير الأمريكى مفرًا من اللجوء لوزير الدفاع الإسرائيلى الذى يتحرك معه للعثور على نسخ الفيلم الفاضح.. وبالطبع تحدث عدة مغامرات تقوم بها المخابرات الإسرائيلية للعثور على نسخ الفيلم

الذى يعرى السفير الأمريكى أمام الرأى العام، ويقضى على مستقبله ولم تنجح المغامرات المفتعلة التى اشتهرت بها السينما الأمريكية.

وتبين فى النهاية أن إحدى المنظمات الفلسطينية هى التى وراء التشهير بالسفير الأمريكى.. وهنا تتضح أبعاد القضية الصهيونية التى يهدف إليها الفيلم..

ولم يجد السفير الأمريكى بدًا من الالتجاء إلى قسم المعلومات بالسفارة، لكى يعد تقريرًا سريًا عن نشاط التاجر الفلسطينى مصطفى الهاشمى وعلاقته بالمنظمات الإرهابية الفلسطينية - على حد تعبير الفيلم - ويأتى التقرير حاملا بين طياته «أن مصطفى الهاشمى عضو منظمة التحرير الفلسطينية، وأنه يمول نشاط المنظمة، حيث أنه منذ بلوغه ١٥ سنة كان يعمل مع المجاهدين الفلسطينيين، وأنه أصبح واسع الثراء».

ويتوجه السفير مرة أخرى إلى وزير الدفاع الإسرائيلى يطلب منه مساعدته فى العثور على نسخ الفيلم الفاضح، لكنه يجد الوزير مشغولا بمقابلة أحد الوفود الأجنبية فى أمر هام.. وأحس السفير بأن وزير الدفاع لم يهتم بالأمر.. وطلب وزير الدفاع من السفير الأمريكى فى سخرية أن يرافق الوفد معه فى زيارة للمتحف اليهودى بوزارة الدفاع لإطلاع الوفد على ضحايا النازى من اليهود خلال الحرب العالمية لثانية.

وبعد أن يفرغ وزير الدفاع الإسرائيلى من مهامه يلتق به السفير

الأمريكى الذى يطلعه مرة ثانية على ماحدث لزوجته، ويفاجأ السفير بأن أخبره وزير الدفاع أن الذى فعل ذلك ودبره، هم أفراد المخابرات الإسرائيلية، ويصاب السفير بالذهول، ولكن وزير الدفاع يشد على يده ويقول له بهدوء «لقد فعلنا ذلك لدواعى الأمن».. ويصرخ السفير الأمريكى محتجا على هذا التصرف غير اللائق واللا أخلاقى.. «لكن وزير الدفاع يربت على كتفه مهدئًا ويقول مستطردًا: أما مصطفى الهاشمى فإنه عضو بمنظمة التحرير الفلسطينية. ونحن نتركه يعمل مايشاء لدواعى الأمن وللضرورة أيضًا، ومن المهم أن يكون خارج السجن بدلا من أن يكون داخله»، وانطلقت ابتسامة الوزير الإسرائيلى أكثر إتساعًا.. ووسط جو الغيوم المشوب بالقلق واليأس يتوجه السفير الأمريكى للقاء الطلبة الإسرائيليين ويجرى معهم حوارًا حول السلام لأن المستقبل لهم.. ولابد أن يكون المستقبل آمنا من أجل حياة أفضل، فيرد الشباب فى ثورة وجلبة تنحصر فى منطق موحد هو «أن منظمة التحرير الفلسطينية ترفض الصلح مع إسرائيل.. والفلسطينيون يرفضون الحوار مع اليهود ولا علاج لذلك إلا الحرب والتنكيل بهم».

ويأخذ السفير فى تهدئة الطلبة لأن القضية هى قضيته أيضًا، وقد نكب فى زوجته بسبب كون الأمريكيين طرفًا فى النزاع.. إنه يريد الخلاص من هذه الورطة.. فإسرائيل تلعب بالنار حتى مع أصدقائها.

ويفاجأ السفير الأمريكى بمن يطلق عليه الرصاص ببندقية تلسكوبية لكن الرصاصة تتخطاه فينجو بأعجوبة من الموت.. لكنه يعاود الحوار مع الطلبة الإسرائيليين لإقناعهم بالسلام عن طريق الحوار مع الفلسطينيين. وهنا يتسلل السفير الأمريكى إلى مصطفى الهاشمى - متناسيًا علاقته بزوجته - ويطلب منه تدبير لقاء بينه وبين الشباب الفلسطينى لإجراء حوار بينهم وبين الشباب الإسرائيلى.

وهنا يتجسد الفشل مرة أخرى ويعود السفير صامتًا لأنه لم يستطع أن يفعل شيئًا.. لكن بعد جهد كبير يتم اللقاء بين الشباب الإسرائيلى وهم أكثر من مائتى شاب وفتاة على رأسهم السفير الأمريكى.. ويظل فريق الشباب اليهودى جالسًا لساعات ومعهم السفير الذى يبدو قلقًا على عدم مجىء وفد الشباب الفلسطينى.. ويحل الليل ويضيئون الشموع والسفير يهب واقفًا بين اللحظة والأخرى متلفتًا هنا وهناك، مترقبًا مجىء الشباب الفلسطينى، لكن بعد معاناة من الملل يأتى الشباب الفلسطينى.. ويجلس كل فريق فى مقابلة الآخر.. وتتفتح أسارير السفير.. لكن فجأة تبدو فرق المقاومة الفلسطينية من الخلف تصوب مدافعها، لتحصد تجمعات الشباب الإسرائيلى مما أحدث لطمة بالغة للسفير الأمريكى الذى بدا ثائرًا.

وتستعرض الكاميرا فى لقطات بطيئة سقوط الشباب الإسرائيلى وفى يدهم الشموع.. ويبدو السفير حزينًا يقول فى أسى ومرارة..

«لقد كانوا يهتفون للسلام ويموتون وهم يهتفون وفى يدهم الشموع».

وتأتى الطائرات الإسرائيلية والمدرعات لتوجه نيرانها على تجمعات الفلسطينيين وتحصدهم ويتطلع السفير إلى المقبرة التى بدت أمامه وقد ملئت بجثث القتلى من الجانبين وهو يقول: «ربما تكون هناك محاولات أخرى لإيجاد سلام»..

ويعود السفير الأمريكى إلى بيته، وقد غاب عن الوعى يسوده القلق وهو يخطو فى منزله مذهولاً، ولم ينم حتى أفاق على المظاهرات فى شوارع تل أبيب تهتف للسلام ومن أجل السلام لحياة أفضل، وهنا يندفع للشرفة وقد انفرجت أساريره ويبتسم ابتسامة باتساع الكادر، وينتهى فيلم «السفير» المشوق الذى غلفته الصهيونية بأغلفة مفتعلة.

والفيلم لم يأت بجديد فى فكرته، لأن هذا الموضوع مستهلك وقدمته السينما الإسرائيلية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣.. ففيلم السفير لم يتخذ خطًا موحدًا فى سير الأحداث، بل هناك أحداث مقحمة مثل زوجة السفير وعلاقتها بالمناضل الفلسطينى «مصطفى الهاشمى».. ثم نتساءل لماذا زوجة السفير الأمريكى بالذات يقع عليها هذا الخطأ اللا أخلاقى؟ كيف ترضى عن ذلك الإدارة الأمريكية، خاصة وأن هذا الفيلم قد عرض فى دور العرض الأمريكية؟

والفيلم يقول: «إن الفلسطينيين لا يفهمون معنى السلام.. بل

أنهم يعتمدون على السلاح فقط لأنهم بلا مبادئ».. والمشهد الأخير لفيلم السفير هذا يؤكد ذلك المنطق التقليدى لدى الصهيونية الساذجة.

ويتعمد الفيلم إظهار الشباب الإسرائيلى فى موضع التفتح والرؤية المستقبلية الواضحة.. يضيئون الشموع.. ويلتزمون رؤيا العقل حين يجلسون فى انتظار قدوم الشباب الفلسطينى للحوار من أجل السلام، لكن المفاجأة أذهلتهم حتى السفير الأمريكى الساعى للسلام فوجئ بالقتل الجماعى غير المنتظر، وكأن الفلسطينيين أناس سفاكون للدماء لا يحكمون العقل.

وهناك حقيقة سياسية جاء بها الفيلم، وهى الإدانة الأمريكية لمفهوم السلام المراوغ.. سلام لم تقدر عليه الإدارة الأمريكية. وكان الفيلم من جهة أخرى قد بين الوجه الأمريكى القبيح.. وهذه إدانة لا يمكن السكوت عنها من جانب الإدارة الأمريكية حفاظًا على موقفها ونشاطها السياسى، كما يبرز الفيلم الدور الماهر الذى تقوم به المخابرات الإسرائيلية فى الدخول إلى الحجرات المغلقة لإبراز ما خفى فيها، وهو تصوير زوجة السفير الأمريكى فى وضع مخل بالآداب مع التاجر العربى «مصطفى الهاشمى» والحقيقة أن فيلم السفير فيلم جرىء للغاية لأنه يتحدث عن القضية الفلسطينية بلغة فاضحة تمامًا.. وهو ما يجعلنا نقول إن مثل هذا الفيلم وإن جاء قويًا فى لغته، إلا أنه

إدانة لأمريكا وسياستها فى الشرق الأوسط.. هذا وقد تم تصوير الفيلم بأكمله داخل إسرائيل.. وقد عمل فى الفيلم أكثر من ٥٠ ممثلاً وممثلة عدا الكومبارس، وفى دراسة لمجلة «ستيلز» الإنجليزية قالت.. إن إسرائيل لا تصنع أفلامًا تؤكد أصالة صناعة السينما، ولكن تصنع أفلامًا للسوق التجارية فقط، ولقد اعتمدت شركة «كانون» على العناصر الأمريكية فى الفيلم، لكى يبدو بشكل مشوق يجذب الجمهور من المشاهدين.. ولا يمكن أن ننكر أن شركة «كانون» بهذا الفيلم قد قفزت بأرباحها حتى عام ١٩٨٣ إلى ما قيمته ٣,٥ مليون دولار.. واستطاعت الشركة أن تجذب رءوس الأموال الإسرائيلية والأمريكية معًا إليها بعد أن أعلنت عن أرباحها المتزايدة.. وقد فتحت أسواقًا لها فى أوربا وأمريكا وكندا وأفريقيا لعرض أفلامها وتعتمد على أسماء النجوم العالمية.

هذا وقد أنتجت الشركة فيلم «ينابيع الحب»، وقامت بتنسيق الدعاية له أكثر من فيلم السفير.. وتعتمد شركة «كانون» على الممثلة «كاترين هيبورن» التى شاركت الممثل الشاب «نيل نولتى» فيلم «الحل النهائى».

وسيصبح مناحيم جولان عملاق السينما اليهودية فى العالم نظرًا لأنه يمتلك القدرة على تسويق أفلامه والتى يتعمد فيها الإثارة والجنس، وهى لغة تجيدها السينما الصهيونية لابتزاز الأموال.

لكن القضية التى نعود ونؤكد عليها أن فيلم السفير يجب أن يعاد النظر فيه رقابيًا وسياسيًا من جانب الإدارة الأمريكية.. فهل يتحقق ذلك والفيلم يعرض فى أوربا وأمريكا وجنوب أفريقيا.. !

إسرائيل.. وسينما الجنس

برزت ظاهرة «السبرنوجرافيا» فى صناعة السينما فى إسرائيل والبرنوجرافيا هى موجة الخلاعة والمجون فى مشاهد الأفلام السينمائية، وهذه حمأة جديدة لجأت إليها إسرائيل مؤخرًا وبعد حرب أكتوبر، لكى تغرق الشباب فى متاهات العدمية الجنسية، وهى حيله بارعة رأت فيها ما ينسى الشباب هموم المعركة الخاسرة وما لقى فيها من أهوال، حتى لمجرد تذكرها فى مخيلته. فالسينما الإسرائيلية قد خطت عدة مراحل فاشلة، المرحلة الأولى كانت تتركز أساسًا فى إحياء مجد اليهود القديم بأنهم جنس فوق كل الأجناس وإنهم صانعو التاريخ الحضارى للإنسان.. أما المرحله الثانية فتبرز الجوانب البطولية والأنشطة الخارقة لليهود فى أرض فلسطين ونزعة أرض الميعاد التى تملأ قلوبهم، وبأن اليهود هم صانعو الأمجاد فى أرض فلسطين منذ بدأوا يتدفقون عليها من كل مكان.. هذا كله مع إغفال الجانب العربى كلية، وكأنه جنس لا وجود له أصلا فى أرض فلسطين والمرحلة الثالثة وهى تصور حال اليهود بعد قيام إسرائيل فى فلسطين

العربية، وتبرز الضعف فى العرب، يقابل ذلك كون إسرائيل واحة تقدمية وسط البلاد العربية المتخلفة والمرحلة الرابعة فى فساد صناعة السينما الإسرائيلية الصهيونية، فهى مرحلة التفوق والمجد والإشادة بدور الجندى الإسرائيلى أسطورة زمانه الذى لا يقهر، وتبدأ هذه المرحلة عند نقطه وقف إطلاق النار بعد حرب يونيو ٦٧ مباشرة، إذ انطلقت السينما الإسرائيلية فى جنون العظمة تمجد جيشها صانع المعجزات، وهى تنسج الخرافات المضللة للرأى العام العالمى حول وضع إسرائيل فى الخريطة مستقبلا، وسيكون هناك المزيد من الأنتصارات تلك هى الرؤية المجنونة.. أما المرحلة الخامسة والأخيرة وهى مرحلة الهزيمة فقد بدأت منذ السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣، لتدمر كل شىء بنته إسرائيل فى تلك المراحل التى لازمت صناعة السينما فى إسرائيل، فى هذه المرحلة الحاضرة توقفت السينما الإسرائيلية، وهرب تجارها إلى أوربا وأمريكا ولم يعد أمام السلطة الحاكمة إزاء الصدمة القاتلة إلا أن تبحث عن الجنس كمخرج أمام إسرائيل لكى تبعث معنى الحيوية ولو بعض الشىء داخل نفوس الشباب الغاضب الذى صدمته مأساة الحرب.

من منطلق العرى والرذيلة أخذت صناعة السينما فى إسرائيل تتجه إلى إنتاج العديد من هذه الأفلام الفاضحة التى توظف أساسًا لا ستثارة الغرائز الحيوية فى الإنسان الإسرائيلى، فالخيال فى غريزة الجنس شديد الفاعلية والأدب المكشوف كالفن المكشوف عرف فى كل

زمان ومكان، موضوعه العشق بصورة فاضحة والفن فى هذا إذا ما عولج بصوره ملتزمه بعض الشىء يسمى «بالأيروطية» وهو كيوبيد الرومان، فهو يتحدث أساسًا عن الجنس والغريزة، وفى أحطه يدمغ بالبورنوجرافيا وهى الخلاعة والعرى والمجون فى أحط صوره الفاضحة ، وهو ماركزت عليه إسرائيل فى أفلامها اليوم بعد أن رأت أن حيوية الشباب قد ماتت بسبب ما تراكم عليه من هموم مأساة الحرب والوجود الذى لا ينقشع ولقد جربت إسرائيل الكتب والقصص العاهرة التى تصدر عن اتحاد الكتاب العبريين الذى يشرف عليه حزب «المابام»، لكن مثل هذه الكتب الجنسية العاهرة لم تمسح دموع الشباب الغاضب فلجأت إلى إحياء غريزة الجنس لدى الشباب لأن أهم عنصر فى السينما هو «الجنس»، والجنس يمكن أن يتطور إلى الرذيلة فى أكثر من موقف ليحرك نزعة الغريزة لدى الشباب.. وبالتالى يحصل الفيلم الجنسى على أكبر إيراد ممكن.. فبعد أن كان البطل فى السنوات الماضية مع البطلة لم يبد منهما إلا الظهر والصدر، نرى السينما الإسرائيلية اليوم تصور ممارسة الجنس فى أحط صورها، ولا غرابة فى هذا فتجار الصور الجنسية العاهرة يهود وصهيونيون لاهم لهم إلا الربح. فلا غرابة أن تتجه تلك الخطايا بمساوئها الاجتماعية لدى الإسرائيليين فى هذه المرحلة الجديدة من صناعة السينما المسماة بالعاهرة «سينما البورنوجرافيا».

هناك عدد من الأفلام الإسرائيلية تحمل طابع الغلو فى الخطيئة

واللذة الملعونة، بدت بشكل غير أخلاقى وبصورة تتقزز منها المشاعر. هذه الأفلام التى تنطلق من بؤرة «البورنوجرافيا» العاهرة نذكر منها على وجه المثال فيلم «الظامئون للحب»، والذى تقوم ببطولته الممثلة الصهيونية «باربارا سترساند»، و«تونى كرتس»، مع لفيف من بائعات الهوى فى السينما الإسرائيلية.. كذلك فيلم يحمل اسم «العشق فى السهول الموحشة.. بطولة «دالتون ترامبو»، ويبدو عاديًا تمامًا مع الممثلة «باربارا هيرش» وهما فى هذا الفيلم يصوران الحياة الجنسية خلسة وفى السهول التى تبعد عن أعين الناس. كذلك فيلم «الحائط»، وفيلم «جريمة فى حيفا»، «وشتاء ٧٣» وفيلم آخر من أفلام الدعارة الفاضحة لقى رواجاً كبيرًا بين المشاهدين الإسرائيليين وهو فيلم «نحو عبادة بلا قيود»، فالعبادة فى هذا الفيلم تمارس علنًا أنها عبادة الجنس يبدو البطل «بول نيومان» إنسانا لا هدف له إلا اللذة الوقتية.. هذه اللذة أبرأته من مرض نفسى كان يعانى منه، لكنه لم يوفق فى مجونه فى فيلم «عربة الهجرة الأخيرة»، حيث دعته البطلة إلى الفراش لكنه بدا أمامها إنسانًا هادئ الطبع، يفضل اللعب ببنات الهوى أفضل من هذه الغانية الدميمة.

ولم تترك صناعة السينما فى إسرائيل أى فيلم إلا ولطخته بالعاهرات ذوات الصدور العارية والبارزة، والسيقان البضة الناضرة وهن يسعين نحو الشبان الذين يطلبون اللذة الجنسية فوق كل شيء.

وليس الأمر فى الأفلام السينمائية فقط بارزًا إلى حد القبح

والرذيلة فى متاهات البورنوجرافيا الداعرة.. بل هناك الأغانى التى تنادى بارتكاب الرذيلة... وتطلقها محطات الإذاعة الإسرائيلية فى كل لحظة. وتتسابق عليها شركات متعددة، لأنها أصبحت تجارة رابحة فى يوم ماتت فيه حيوية الإنسان الإسرائيلى وسط ضغوط الحياة الاقتصادية وحالة الحرب المستمرة.. والغيوم التى تغلف المستقبل وفوق هذا هناك قوائم الإنتاج العديدة من أفلام الرذيلة.. أفلام البرنوجرافيا التى لجأت إسرائيل إليها بعد الحرب وستظل تلجأ إليها لتغرق الأسواق بها.. أسواقها التى خربتها حرب أكتوبر، وهى الحرب التى أفقدت الإنسان الإسرائيلى حيويته، وحبه للحياة، ورسمت صورة التشاؤم فى وجهه ليظل فى عزلة الذلة والانكسار، فهل ستوقظ مثل هذه الأفلام فى نفسه معنى الحياة من جديدة؟ سؤال يجيب عليه تجار أفلام الجنس والدعارة فى السينما الإسرائيلية..

فهرس

صفحة

اقرأ فى هذه المجموعة

صوت أبى العلاء	د . طه حسين
أحلام شهر زاد	د . طه حسين
فى بيتى	عباس محمود العقاد
الشيخ الرئيس ابن سينا	عباس محمود العقاد
المهدى والمهدية	أحمد أمين
الصعلكة والفتوة فى الإسلام	أحمد أمين
خاتمة المطاف	على الجارم
أبو نواس	د . عبد الحليم عباس
دماء وطين	يحيى حقى
العشاق الثلاثة	د . زكى مبارك
سيكلوجية الجنس	د . يوسف مراد
النسيان	د . أحمد فؤاد الأهوانى
الحب والكراهية	د . أحمد فؤاد الأهوانى
الوجودية والإسلام	محمد لبيب البوهى
الأمن والسلام فى الإسلام	د . جمال الدين الرمادى
الغزالى	طه عبد الباقى سرور
الإمام المراغى	أنور الجندى
بنت قسطنطين	محمد سعيد العريان

شاعر الشعب	د . سامى الدهان
قصص الحب العربية	د . عبد الحميد إبراهيم
غرائب الرحلات	محمد عبد الغنى حسن
عود على بدء	إبراهيم عبد القادر المازنى
غرام الأدباء	عباس خضر
أبو زيد الهلالى	محمد فهمى عبد اللطيف
عبد الرحمن الجبرتى	خليل شيبوب
ليلى العفيفة	عادل الغضبان
نساء محاربات	صوفى عبد الله
أبو القاسم الشابى	رجاء النقاش
جابر بن حيان	محمد محمد فياض
الصديقة بنت الصديق	عباس محمود العقاد
الكعبة على مر العصور	د . على حسنى الخربوطلى
غادة رشيد	على الجارم
الأحلام والرؤى	د . عبد العزيز جادو
النوم والأرق	د . أحمد فؤاد الأهوانى
جحا فى جامبولاد	محمد فريد أبو حديد
عمر بن عبد العزيز	أحمد زكى صفوت
نديم الخلفاء	عبد الستار فراج
طاغور	د . جميل جبر
طرائف من التاريخ	مصطفى الشهابى

تيمورلنك	محمد محمد فياض
شيخ التكية	محمد عبده عزام
المدينة المسحورة	سيد قطب

رقم الإيداع		١٩٨٧ / ٢٥١٨
الترقيم الدولى	٩-١٩٩٥-٠٢-٩٧٧	ISBN

١ / ٨٦ / ٢٤٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

بهذا الشكل الجميل (اقرأ) ، تدعوك دار المعارف إلى قراءة تراث هذه السلسلة العريقة بأقلام كبار كتابنا . لتعيش معهم .. كما عاش الآباء والأجداد . وتكوّن في مكتبتك موسوعة متفردة في فروع المعرفة المختلفة .

وإيمانًا منا بأن القراءة هي أقصر الطرق إلى الوعي والثقافة .. فقد يسّرنا لك ذلك في إخراج جيد .. وسعر زهيد .

